



إلى عالم القراءات والآداب القرآنية

دكتور

فستحي الفونان اللدوي

الأستاذ في كلية اللغة العربية

جامعة الأزهر



فى الدراسات القرآنية واللغوية

المدخل إلى علم القراءات والأداء القرآنى

دكتور

فتحى أنور الدابولى

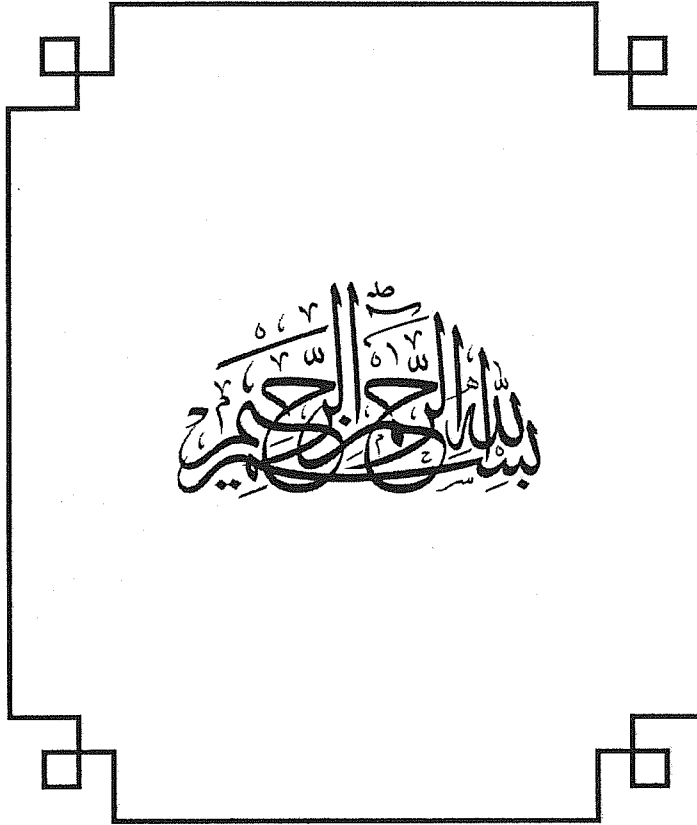
الأستاذ فى كلية اللغة العربية
جامعة الأزهر

الطبعة الثانية
(مزيدة ومنقحة)
٢٠١٧هـ - ١٤٣٨م



إهداء

إلى أبى وأمى رحمهما الله
إلى محبى القرآن الكريم
والراغبين فى تلاوته
والتقرب بها إلى الله
وإلى كل من ساعد فى
إعداد هذه الطبعة
راجياً من الله أن
يجعل ذلك فى ميزان
حسناتهم.



شكر وتقدير

أقدم جزيل شكرى وتقديرى
إلى العالم العامل والداعية الإسلامى الكبير
الأستاذ الدكتور محمد داود
حيث تفضل برعاية هذا الكتاب ونشره
أدام الله نفعه وبارك عليه فى الأولين والآخرين
وجعله فى ميزان حسناته
أميــــن.

مُقَدِّمَةٌ

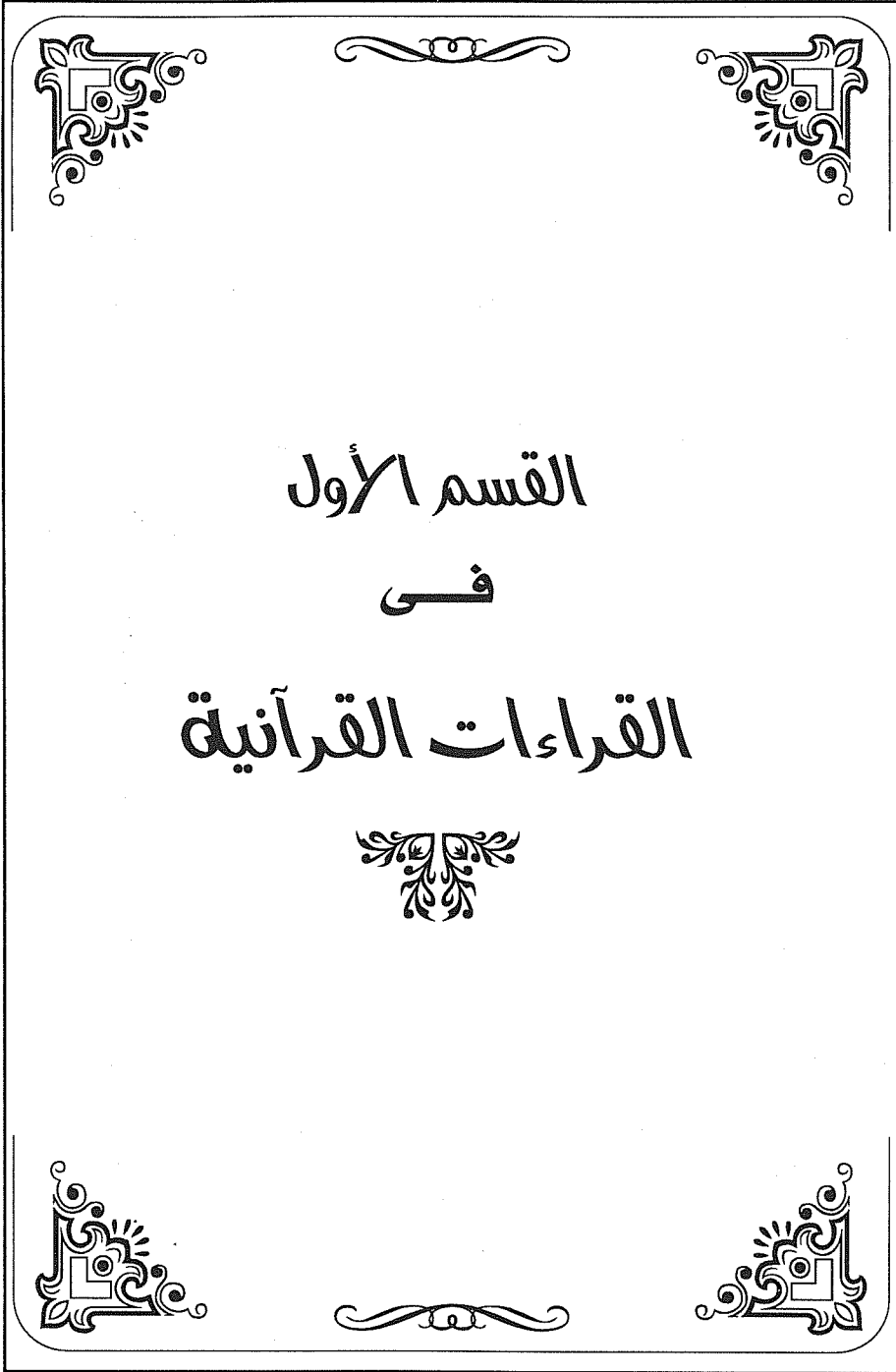
الحمد لله، علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان، والصلاة والسلام على معلم الناس الخير سيدنا محمد، وعلى آله ومن تبعه.
وبعد...

فهذه دراسة ترجع أهميتها إلى شرف موضوعها؛ أي: القرآن الكريم وقراءته وتجويده، قسمتها قسمين:

الأول: يتعلق بالقرآن وقراءته من حيث أوجه اختلافها ونشأتها ومصادرها، وحديث: «أنزل القرآن على سبعة أحرف...»، ورسم المصحف وتطور طباعته... إلخ. والقسم الثاني: عن أهم أحكام التجويد التي تتناول أداء القرآن الكريم أداءً سليماً؛ كمفهوم التجويد، وكيفية قراءة القرآن، ومعنى «اللحن» في القراءة، ومخارج الحروف وصفاتها، وأحكام النون الساكنة والتنوين، والميم الساكنة، والمد والقصر والوقف... إلخ.

وقد فضلت في هذا العمل: الإيجاز والاختصار؛ ليعم نفعه، ويسهل تداوله، راجياً من الله ﷻ أن يتقبله، وأن يجعله في ميزان حسناتي، خالصاً لوجهه الكريم. إنه سميع قريب مجيب الدعاء.

د/ فتحي أنور الداويلى
الأستاذ فى كلية اللغة العربية
جامعة الأزهر



القسم الأول
في
القراءات القرآنية

القسم الأول

في القراءات القرآنية

١- القرآن الكريم:

القرآن في اللغة: مصدر قرأ يقرأ ويقرؤ قرءاً وقرأة وقرآناً، وهو مصدر كالعُفْران والكفران، وقد تحذف الهمزة منه تخفيفاً، ورُوي عن الإمام الشافعي رحمته الله أن القرآن اسم، وليس بمهموز، ولم يؤخذ من (قرأت)، ولكنه اسم كتاب الله مثل: التوراة والإنجيل. ويهمز: قرأت ولا يهمز (القران) كما نقول: قرأت القران، وكان أبو عمرو ابن العلاء لا يهمز القرآن^(١)، وعلى ذلك فلفظ القرآن جامد وليس بمشتق.

وقد اتفق علماء العربية والأصوليون والفقهاء على أن القرآن الكريم هو «كلام الله المعجز المنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، المتعبد بتلاوته المتحدّى بأقصر سورة منه، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تشعب منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد»^(٢).

٢- القراءات والمصطلحات:

القراءات: جمع قراءة، وعلم القراءات علم يُعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى، واختلافهم في الحذف والإثبات، والتحريك والتسكين، والفصل والوصل، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال وغيره، من حيث السماع، وهو علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو والنقلة، وقيل: القراءات، اختلاف ألفاظ القرآن في

(١) انظر: اللسان (قرأ).

(٢) انظر: مباحث في علوم القرآن / ٢١.

الحروف أو كفيّتها؛ من تخفيف وتشديد وغيرهما، ولا بد فيها من التلقى والمشافهة؛ لأن في القراءات مواضع لا تُحکم إلا بالسمع والمشافهة.

■ والقراءة: مصدر قرأ، وهي كيفية أداء القرآن على وجه من الوجوه المعروفة في القراءة؛ كالتحقيق والتسهيل^(١).

■ القارئ: له رُواة: فمثلاً (نافع) (شيخ) له راويان: قالون وورش^(٢).

■ المقرئ: مَنْ عَلِمَ بالقراءة أداءً (الدراية)، ورواها مشافهة، وهو الذي يقرئ غيره.

■ والأداء: هو الأخذ عن المشايخ.

■ والحفظ: لا يُغنى عن المشافهة؛ لأن في القراءة شيئاً لا يحكم إلا بالسمع عن الشيخ

ومشافهته، بخلاف الرواية في علم الحديث فيُكْتَفَى فيها بالسمع من لفظ الشيخ؛ لأن المقصود هنا حسن الدراية وكمال العلم والثقة والأمانة في النقل.

■ ولكل راوٍ طريقان؛ فمثلاً قالون من طريقين: أبي نسيط والحلوانى.

■ الطريق مأخوذ من الراوى.

■ الوجه هو تخيير القارئ أن يقرأ بأكثر من قراءة.

مثل: إثبات البسملة بين السورتين لِمَنْ بسمل، فليس قراءة ولا رواية ولا طريقاً، بل

هو وجه إذا أتى به القارئ أجزاءه في تلك الرواية^(٣).

الأداء القرآني: نطق الحروف في تلاوة القرآن الكريم نطقاً خاصاً -يعتمد على

المشافهة والتلقى- وإخراج الحروف من مخارجها، وإعطاؤها صفاتها الخاصة والعامّة. وفعله: أدّى تأدية، إذا أوصل الشيء إلى منتهاه وغايته.

(١) انظر: الفرق بينها وبين التلاوة / ٦٤.

(٢) انظر: الشروط الواجبة في القارئ / ٦٤.

(٣) غانم قدوري: في رسم المصحف / ٣٩٨. والطرازات المعلمة / ٢٥٠.

٢- توجيه اختلاف القراءات:

اختلفت القراءات للأمور التالية:

أولاً: اختلاف لهجات العرب^(١):

ذلك لأن جزيرة العرب كانت مترامية الأطراف وقبائلها متعددة، ولكل قبيلة لهجتها الخاصة التي يصعب عليها النطق بغيرها، والقرآن جاء للناس أجمعين، وكان من العسير أن يُلزم العرب بطريقة واحدة فى النطق، ومن هنا كانت هناك قراءات كثيرة على وَفْق بعض اللهجات العربية، ومن أمثلة ذلك:

١- قال تعالى: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ﴾^(٢). قرأ عاصم وحزمة من غير همز مع تسكين الهاء على التسهيل وهى لغة الحجاز، وقرأ ابن كثير وهشام «أرجئه» بالهمز وضيم الهاء مع وصلها بواو على التحقيق وهى لغة تميم^(٣).

٢- قال تعالى: ﴿تَأْكُلُ مِنْسَاتَهُمْ﴾^(٤). قرأ نافع وأبو عمرو وأبو جعفر بألف بعد السين من غير همز؛ أى: بالتسهيل على لغة الحجاز، ووافقهم اليزيدى والحسن، وقرأ الباقون على الأصل بالهمزة المفتوحة بالتحقيق على لغة تميم^(٥).

٣- قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾^(٦). قرأ الجمهور: (أعطيناك) بالعين، وقرأ الحسن وطلحة وابن محيصن والزعفرانى: (أنطيناك) بالنون، وهى قراءة مروية عن الرسول ﷺ، وإبدال العين نوناً إذا جاورت الطاء لهجة تعرف بالاستنطاء، وقد نُسِبَتْ لسعد بن بكر وهذيل والأزد وقيس والأنصار وأهل اليمن^(٧).

(١) أى: لهجات قبائل العرب مثل: قريش وهذيل وتميم فى صفاتها الكلامية المميزة لكل قبيلة عن الأخرى.

(٢) الأعراف: من الآية/ ١١١.

(٣) انظر: التيسير / ٨٥.

(٤) سبأ: من الآية/ ١٤.

(٥) انظر: الإتحاف / ٣٥٨.

(٦) الكوثر: ١.

(٧) انظر: الكشاف ٤/ ٢٣٧، والقراءات واللهجات/ ١٢٣ عن البحر.

ومن هنا يقول الجزري: «وكانت العرب الذين نزل القرآن بلغتهم لغاتهم مختلفة وألسنتهم شتى، ويعسر على أحدهم الانتقال من لغته إلى غيرها ومن حرف إلى آخر، بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك ولا بالتعليم والعلاج، ولا سيما الشيخ والمرأة ومن لم يقرأ كتاباً، كما أشار إليه ﷺ، فلو كلفوا العدول عن لغتهم والانتقال عن ألسنتهم لكان من التكليف بما لا يُستطاع، وما عسى أن يتكلف المتكلف وتأبى الطباع»^(١).
وفى الجانب الآخر نجد أن هناك قراءات كثيرة أيضاً قد وردت ولا صلة لها باللهجات، ومن أمثلة ذلك:

- ١- قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْتَهُ أُبْيَيْهِمْ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾^(٢) قرأ أبو بكر، وحمزة والكسائي وخلف (عملت) بغير هاء، موافقة لمصاحفهم، والباقون بالهاء موافقة لمصاحفهم.
- ٢- قال تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾^(٣). اختلف في إثبات (هو) فنافع وابن عامر وأبو جعفر بحذفها، والباقون بإثباتها.
- ٣- قال تعالى: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾^(٤)، قرئ بزيادة (من) وقرئ بحذفها، وهي في المصحف المكي بزيادة (من) وفي غيره بحذفها.
- ٤- قال تعالى: ﴿كَانُوا لَهُمْ أَسَدًا مِنْهُمْ قُوَّةً﴾^(٥)، اختلف في (أشد منهم قوة)، فابن عامر (منكم) بالكاف موضع الهاء التفاتاً إلى الخطاب، والباقون (منهم) بضمير الغائب لقوله: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا﴾.
- ٥- قال تعالى: ﴿وَأَنذَرُوا مِنْ مَقَامٍ أَرْتَهُمْ مُصَلًّى﴾^(٦) قرأ نافع وابن عامر بفتح الخاء على الخبر، عطفه على ما قبله، والباقون بكسرها على الأمر^(٧).

(١) النشر / ١ / ٢٢.

(٢) يس: ٣٥.

(٣) الحديد: ٢٤.

(٤) التوبة: ١٠٠.

(٥) غافر: ٢١.

(٦) البقرة: ١٢٥.

(٧) انظر: القراءات واللهجات / ١٢٧، ١٢٨ عن الإنحاف.

ثانياً:

الخط الذي كُتب به المصحف -أولاً- دون شكل أو نقط يؤكد لنا توجيه بعض القراءات كما في (فتبينوا)^(١)، قُرِئَتْ: (فتثبتوا)^(٢)، والفرق بين الكلمتين هو اختلاف النقط.

ومن تحريفات الشكل ما يمكن أن يكون في قوله تعالى: ﴿فَلَقَّيْنِ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ﴾^(٣)، يقرأ برفع (آدم) ونصب (كلمات) وبالعكس^(٤)، وكذا قراءة قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٥)، برفع لفظ الجلالة ونصب العلماء، والأخيرة من القراءات الشاذة^(٦).

هذا وغيره من القراءات القرآنية التي لم يتواتر في قراءتها أكثر من وجه، أما الألفاظ القرآنية التي تواتر في قراءتها أكثر من وجه صحيح «وتعذر رسمه في الخط محتملاً لجميع الوجوه كان لا بد أن يلجئ الناسخين إلى كتابته في بعض المصاحف بوجه وفي بعضها الآخر بوجه ثانٍ كقوله تعالى: ﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَيْنَهُ﴾^(٧)؛ فقد تواتر فيه وجهٌ آخر صحيح: «وأوصى»^(٨) بالهمز لا بالتضعيف، ولذلك كتب في بعض المصاحف العثمانية بالتضعيف وفي بعضها الآخر بالهمز»^(٩).

ثالثاً:

طريقة حفظ القرآن الكريم في الصدور أولاً، ثم كتابته في الرقاع والعصب، وقراءته ﷺ لأصحابه، وقراءة أصحاب الرسول بعضهم بعضاً -كل ذلك كان توجيهاً

(١) الحجرات: من الآية/ ٦.

(٢) هي قراءة ابن مسعود كما في الكشاف ٤/ ٨.

(٣) البقرة: من الآية/ ٣٧.

(٤) إملاء ما من به الرحمن للعكبري ٣١/ ١.

(٥) فاطر: من الآية/ ٢٨.

(٦) السابق نفسه ٢/ ٢٠٠.

(٧) البقرة: من الآية/ ١٣٢.

(٨) الإقناع ٢/ ٦٠٤.

(٩) مباحث في علوم القرآن/ ٨٦، والإتقان ٢/ ١١٧.

لاختلاف بعض القراءات، يقول د. الراجحي: «لكن السبب الرئيس عندنا في اختلاف القراءات هو ما نفهمه من طبيعة القراءات ذاتها ومن طبيعة المجتمع الإسلامي الأول، فالقرآن أخذ بالمشافهة أولاً بين الرسول وجبريل من ناحية، ثم بين الرسول وصحابته من ناحية أخرى، ومع كتابته له في الرقاع والعسب واللخاف والأكتاف وجد الاختلاف على ما رأينا من قبل، وعاش الصحابة مع الرسول يقرءون فيختلفون، واشتهر من بينهم نفر كثير، ذكر منهم أبو عبيد القاسم بن سلام، في كتاب «القراءات»: الخلفاء الأربعة، وطلحة، وسعد، وابن مسعود، وحذيفة، وسالمًا...»^(١).

* * *

(١) اللهجات العربية في القراءات/ ٧١.

نشأة علم القراءات

لا ريب فى أن علم القراءات هو أقدم العلوم التى نشأت لخدمة القرآن الكريم، وإن لم يُدَوَّن هذا العلم فى صدر الإسلام؛ لأن القرآن الكريم كان محفوظاً فى الصدور، وكان حافظ القرآن يسمى قارئاً؛ تمييزاً له عن غيره لأنهم كانوا أميين، وإذا عرفنا أن السبب الرئيس الذى دفع سيدنا عثمان رضي الله عنه إلى جمع القرآن الكريم فى مصحف واحد ما بلغه من اختلاف الصحابة فى قراءته^(١) تأكد لنا أن هذا العلم قد نبتت بذوره قبل توحيد المسلمين على مصحف واحد هو المصحف العثماني.

ثم بعد ذلك نسخ سيدنا عثمان رضي الله عنه من هذا المصحف سبع نسخ، ووزعها على الأمصار: الكوفة، والبصرة، والشام، والمدينة، ومكة، واليمن، والبحرين^(٢).

وبمرور الزمن أصبح لأهل كل مصر من هذه الأمصار قراءة خاصة يتبعون فيها قارئاً ويشبتون صحة قراءته بالتواتر عن الرسول صلى الله عليه وسلم، واشتهر من هؤلاء القراء سبعة، وأصبحت قراءاتهم أصولاً لغيرها، وعرفت بالقراءات السبع نسبة لأصحابها، وهم:

- ١- عبد الله بن كثير المكي (ت ١٢٠هـ).
- ٢- عاصم بن أبى النجود الكوفي (ت ١٢٧هـ).
- ٣- عبد الله بن عامر اليحصبي الشامي (ت ١١٨هـ).
- ٤- على بن حمزة الكسائي الكوفي (ت ١٨٩هـ).
- ٥- حمزة بن حبيب الزيات العراقي الكوفي (ت ١٥٦هـ).
- ٦- أبو عمرو بن العلاء التميمي، توفى بالكوفة سنة ١٥٥هـ، وكان قارئ البصرة.
- ٧- نافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم المدني (ت ١٦٩هـ)^(٣).

(١) انظر: المقنع فى رسم مصاحف الأمصار لأبى عمرو الدانى / ١٣-١٥، وتاريخ آداب اللغة العربية ٢١٣/١.

(٢) مباحث فى علوم القرآن / ٨٤.

(٣) تاريخ آداب اللغة العربية ٢١٣/١.

وبعض العلماء يضيف إلى هؤلاء السبعة ثلاثة، وهم: أبو جعفر يزيد بن القعقاع، ويعقوب بن إسحاق الحضرمي، وخلف بن هشام البزار، ويجعل القراءات الصحيحة عشرًا، وأجمع العلماء على أن ما عدا هذه القراءات العشر يُعد شاذًا^(١).

تدوين القراءات:

وظلت القراءات القرآنية تتناقل بالتواتر حتى جاء عهد التدوين، فنهض العلماء للتدوين في القراءات الصحيحة والشاذة؛ للحفاظ عليها.

ومن أهم الكتب المؤلفة في هذا الميدان:

١- أول إمام جمع القراءات في كتاب: أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) وجعلهم خمسة وعشرين قارئًا.

٢- وبعده أحمد بن جبير الكوفي (ت ٢٥٨هـ)، جمع كتابًا في قراءات خمس، من كل مصر واحد.

٣- ثم إسماعيل بن إسحاق المالكي (ت ٢٨٢هـ) ألف كتابًا في القراءات، جمع فيه قراءة عشرين إمامًا منهم السبعة.

٤- ثم الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، جمع كتابًا فيه نيف وعشرون قراءة.

٥- ثم الإمام أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد (ت ٣٢٤هـ)، وهو أول من اقتصر على قراءات الأئمة السبعة، أو أول مَنْ سَبَّحَ السبعة وشذذ ما عداها^(٢).

٦- ثم ألف محمد بن القاسم (ت ٣٢٨هـ) كتاب «الإيضاح في الوقف والابتداء».

٧- ثم ألف الإمام أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) كتابه الشهير «المحتسب في تبين شواذ القراءات والإيضاح عنها».

(١) مباحث في علوم القرآن / ٢٤٨ وما بعدها.

(٢) انظر: اللهجات العربية، دكتور/ عبده الراجحي / ٧٤.

- ٨- ثم ألف الحافظ أبو عمرو عثمان بن سعيد (ت ٤٤٤هـ)، كتابه: (التيسير، وجامع البيان).
- ٩- ثم ألف محمد بن فيرة الشاطبي (ت ٥٩٠هـ) منظومة سماها «حز الأمانى ووجه التهانى فى القراءات السبع».
- ١٠- ثم ألف ابن الجزرى (ت ٨٣٣هـ) كتابين فى القراءات: أحدهما منظومة سماها: «المقدمة الجزرية فى علم التجويد»، والثانى: كتابه المشهور المسمى «النشر فى القراءات العشر».
- ١١- ثم ألف الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد الدمياطى الشافعى الشهير بـ «البناء» (ت ١١١٧هـ) كتابه «إنحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر».
- إلى غير ذلك من المؤلفات التى لا تزال مستمرة حتى اليوم وإلى أن تقوم الساعة، ومنها هذا الكتاب.

* * *

القراءات الصحيحة (القراءات السبع)

والشاذة (ما عداها)^(١)

ذكر علماء القراءات أن القراءة الصحيحة هي كل قراءة وافقت اللغة العربية، ووافقت رسم أحد المصاحف العثمانية، وثبتت بطريق التواتر.

فكل قراءة تحققت فيها الأركان السابقة هي قراءة صحيحة ويجب قبولها، ومتى لم تتحقق الأركان السابقة أو ركن منها في قراءة فهي شاذة ومردودة.

والمراد بقولهم: وافقت اللغة العربية، أن تكون موافقة لوجه من وجوه النحو؛ سواء أكان أفصح أو فصيحا مثل قراءة: ﴿وَأَقْرَأُ اللَّهَ الَّذِي سَاءَ لُونُ بَدَنِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(٢)، بجر الأرحام عطفًا على الضمير المجرور في (به).

والمراد بقولهم: وافقت رسم أحد المصاحف العثمانية، أن تكون ثابتة ولو في بعضها كقوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾^(٣) بحذف الواو من ﴿وَسَارِعُوا﴾، فهي ثابتة في المصحف المدني والشامي.

أما التواتر فهو نقل جماعة يمتنع تواطؤهم على الكذب عن جماعة كذلك، من أول السند إلى منتهاه إلى رسول الله ﷺ^(٤).

وقد أجمع العلماء على أن القراءات السبع السابقة ينطبق عليها مفهوم القراءة الصحيحة، وأن ما عدا هذه السبعة يُعدُّ شاذًا ولا يتفق مع مفهوم القراءة الصحيحة، وأما الثلاث المكملة للعشر فقد اتفق أكثر العلماء على أنها صحيحة كذلك.

(١) سبق أن ذكرنا أن القراءات الصحيحة عشر بإضافة ثلاث قراءات إلى هذه السبع. راجع ص ١٨.

(٢) النساء: الآية / ١.

(٣) آل عمران: من الآية / ١٣٣.

(٤) ينظر: كتابنا «مقدمة في أصوات اللغة العربية» / ١٢٥.

مصادر القراءات:

القراءات القرآنية التى وصلتنا أساسها المصادر الآتية:

- ١- حديث: «أنزل القرآن على سبعة أحرف فأقرءوا ما تيسر منه»^(١).
- ٢- الاختلافات التى حدثت بين الصحابة فى القراءة فى عهد الرسول ﷺ وكان حَكَمًا فيها.
- ٣- الاختلافات التى حدثت بين الصحابة فى عهد عثمان ﷺ وكانت حاملاً له على جمع المصحف الإمام.
- ٤- الاختلافات التى رويت بين المصاحف العثمانية التى أرسلت إلى الأمصار.
- ٥- الروايات التى رُويت عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم، ونقلها ثقات الأئمة، وتلقتها الأمة بالقبول، وتوافرت فيها شروط القراءة الصحيحة^(٢).

* * *

(١) تحدثت بالتفصيل عن هذا الحديث فيما يأتى: ٢١ وما بعدها.

(٢) المصادر من ٢- ٥ تحدثت عنها بإيجاز فى موضوع: رسم المصحف ليس توقيفياً ص ٣٨، وانظر القراءات واللهجات ص: ٥، ٩١ وما بعدها.

علاقة اللهجات بالقراءات

اللهجات العربية تتصل اتصالاً وثيقاً بالقراءات القرآنية، وأصدق دليل على ذلك أننا حين نتحدث عن مصادر اللهجات نجد أن أولها وأوثقها: القراءات؛ لما يأتي:

١- نزول القرآن الكريم على رسول الله ﷺ بلغة فصحي منتقاة من لهجة قريش ولهجات قبائل عربية أخرى، وعلى هذا فالقراءات القرآنية أتت ممثلة لهذه اللهجات؛ لأن قراء القرآن كانوا من جزيرة العرب التي اشتملت على هذه القبائل، وبذلك تتولد الصلة بين القراءات واللهجات.

٢- وثيقة منهج القراءات في طريقة نقلها؛ حيث إن الرسول ﷺ تلقى الوحي من رب العزة - جل وعلا - وكان يعرضه على جبريل ويقرؤه على أصحابه وهم يقرءون عليه أيضاً، ومن هنا رأينا صحة منهج القراءات عن غيرها، كالحديث والشعر والنثر. وفي الجانب المقابل نجد أن من أهم مصادر القراءات حديث: «أنزل القرآن على سبعة أحرف فاقروا ما تيسر منه»، وهذا الاستشهاد يصحح على رأى من فسر «الأحرف السبعة» بسبع لغات أو لهجات، كما ذهب إلى ذلك أبو عبيد وثلعب وغيرهما عن أبي حاتم: «نزل القرآن بلغة قريش وهذيل وتميم والأزد وربيعة وهوازن وسعد بن بكر»، وإن كان هذا الرأى مردوداً^(١).

يتضح لنا - مما سبق - الصلة القوية بين القراءات واللهجات، فكلاهما مصدر أصيل للآخر لا يستغنى عنه، يضاف إلى ذلك أن القراءات القرآنية غنية بنسبة كثير منها إلى لهجات عربية تُقَوَّى القراءة وتوثقها، ومن أمثلة ذلك في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَشْرَفُوا عَلَىٰ الصَّالِحِينَ بِالْهُدَىٰ﴾^(٢) قال أبو حيان: «وأمال حمزة والكسائي (الهدى) وهي لغة تميم، والباقون بالفتح وهي لغة قريش»^(٣).

(١) راجع - فيما يأتي ص ٢٤ وما بعدها.

(٢) البقرة: من الآية / ١٦.

(٣) انظر: البحر المحيط ١ / ٧١ وراجع: الحجة لأبي على الفارسي ٢ / ١٤٥ والمحتسب ١ / ٥٥.

حديث «أنزل القرآن على سبعة أحرف»

(تحليل وتوجيه)

أولاً: توثيق الحديث:

ورد هذا الحديث فى صحيح البخارى^(١) بروايتين من باب «أنزل القرآن على سبعة أحرف» نذكر منهما الرواية التالية:

حدثنا سعد بن عفير... أن اليسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن عبد القارى حدثاه أنهما سمعا عمر بن الخطاب يقول: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان فى حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله ﷺ فكذت أساوره فى الصلاة، فتصبرت حتى سلم، فلببته بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السورة التى سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ فقلت: كذبت، فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ذلك، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت: إنى سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئها، فقال رسول الله ﷺ: أرسله: اقرأ يا هشام: فقرأ عليه القراءة التى سمعته يقرأ، فقال رسول الله ﷺ: كذلك أنزلت، ثم قال: اقرأ يا عمر، فقرأت القراءة التى أقرأني، فقال رسول الله ﷺ: كذلك أنزلت؛ «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقراءوا ما تيسر منه».

كما ورد لهذا الحديث روايات متعددة فى فيض القدير للمناوى^(٢)، ومن هنا أجمع العلماء على صحة هذا الحديث، وقال السيوطى: «ورد حديث: نزل القرآن على سبعة أحرف من رواية جمع من الصحابة: أبى بن كعب، وأنس، وحذيفة... إلخ»^(٣).

(١) انظر: صحيح البخارى ٣/ ٢٢٦، ٢٢٧.

(٢) ٣/ ٥٣، ٥٤، ٥٥ عن البخارى وأحمد فى مسنده، والترمذى والطبرانى فى الكبير.

(٣) الإتيان ١/ ٦١.

ثانياً: دراسة الحديث:

يمكن حصر الكلام عن هذا الحديث في الأوجه التالية:

١- حكمة نزول القرآن على سبعة أحرف:

لا شك أن هذا الحديث من تخفيف الله على عباده ورحمته بهم، وذلك شرف لهم وخصوصية لفضلهم وإجابة لقصد نبيهم ﷺ؛ حيث أتاه جبريل عليه السلام فقال له: «إن الله يأمرك أن تُقرئ أمتك القرآن على حرف، فقال ﷺ: أسأل الله معافاته ومعونته، إن أمتي لا تطيق ذلك، ولم يزل يردد المسألة حتى بلغ سبعة أحرف». يضاف إلى ذلك أن النبي ﷺ بعث إلى جميع الخلق؛ أحمرها وأسودها عربيها وعجميها، وكانت العرب الذين نزل القرآن بلغتهم لغاتهم مختلفة وألسنتهم شتى، ويعسر على أحدهم الانتقال من لغته إلى غيرها أو من حرف إلى آخر، بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك، ولا بالتعليم والعلاج، ولا سيما الشيخ والمرأة، ومن لم يقرأ كتاباً كما أشار إليه ﷺ، فلو كُلفوا العدول عن لغتهم والانتقال عن ألسنتهم لكان من التكليف بما لا يستطاع، وما عسى أن يتكلف المتكلف وتأبى الطباع»^(١).

وقال ابن قتيبة: «فكان من تيسير الله تعالى أن أمر نبيه ﷺ بأن يقرئ كل أمة بلغتهم، وما جرت عليه عاداتهم؛ فالهذلي يقرأ: (عتى حين) يريد (حتى) هكذا يلفظ بها ويستعملها، والأسدي يقرأ: (تَعْلَمون، وتَعْلَم، وتَسود وجوه، وألم إعهد إليكم)، والتميمي بهمز، والقرشي لا يهمز، والآخر يقرأ: (قيل لهم، وغيض الماء) بإشمام الضم مع الكسر...

ولو أراد كل فريق من هؤلاء أن يزول عنه لغته وما جرى عليه اعتياده طفلاً وناشئاً وكهلاً لاشتد ذلك عليه، وعظمت المحنة فيه، ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة، وتذليل للسان، وقطع للعادة، فأراد الله برحمته ولطفه أن يجعل لهم متسعاً في اللغات ومتصرفاً في الحركات؛ لتيسيره عليهم في الدين»^(٢).

(١) النشر ١/ ٢١، ٢٢، وجامع البيان لأبي عمرو الداني / ٦.

(٢) المشكل / ٣٩، ٤٠، وعنه في النشر ١/ ٢٢، ٢٣.

٢- معنى «الأحرف»:

الأحرف جمع حَرْف، مثل: فَلَْس وأفْلُس.

والحرف في الأصل: الطرف والجانب، وبه سمي الحرف من حروف الهجاء.
والحرف: الأداة التي تسمى الرابطة؛ لأنها تربط الاسم بالاسم، والفعل بالفعل؛
كعَنَ وعلى.

والحرف: الوجه، وكل كلمة تقرأ على الوجه من القرآن تسمى حرفاً، نقول: هذا
في حرف ابن مسعود، أى: في قراءة ابن مسعود.
والحرف: القراءة التي تقرأ على أوجه^(١).

أما معنى «سبعة أحرف» في الحديث، فقد ذكر السيوطي نحو أربعين قولاً^(٢)، نذكر
منها هنا ما نراه مناسباً لموضوعنا:

الأول: ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد بحيث لا يزيد ولا ينقص، بل المراد التيسير
والتسهيل والسعة، ولفظ «السبعة» يطلق على إرادة الكثرة في الأحاد، كما يطلق
«السبعون» في العشرات، والسبعمئة في المئين، ولا يُراد العدد المعين. وهذا رأى
بعض العلماء كغياض ومن تبعه.

ولا يسلم هذا الرأى من الردِّ عليه؛ لأن روايات الحديث تؤكد أن العدد مُراد
ومُحدَّد، بدليل رواية ابن عباس في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: أقرأني جبريل
على حرف فراجعتة فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف، فهذا يدل
على إرادة حقيقة العدد وانحصاره.

الثانى: أن المراد بها سبع قراءات، وأصحاب هذا الرأى توهموا أن الأحرف هي
القراءات، ولفظ السبعة مشترك بينهما.

(١) اللسان: حرف.

(٢) انظر: الإتيان ١/ ٦١-٦٧، وجامع البيان لأبي عمرو الداني / ٥ بتصرف.

والحقيقة: أن لفظ «السبعة» مجرد مصادفة؛ لأنه وقت نزول الحديث ما كانت القراءات السبع معروفة؛ لأن الذي سَمِعَ السبعة هو ابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ) أى فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى.

يضاف إلى ذلك أنه لا يوجد فى القرآن كلمة تقرأ على سبعة أوجه إلا القليل مثل: ﴿وَعَبَدَ الظُّنُوتَ﴾^(١)، و﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آيٌ﴾^(٢)، كما أنه توجد كلمات تقرأ على أكثر من سبعة أوجه.

الثالث: أن المراد بها سبع لغات أو لهجات، وإليه ذهب أبو عبيدة وثعلب والزهرى وآخرون.

وهنا كلام كثير؛ فقد رُدَّ على هذا القول بأن لغات العرب أكثر من سبع، وأجيب عن ذلك بأن المراد أفصحها، رُوى عن ابن عباس: نزل القرآن على سبع لغات، منها خمس بلغة العَجْزِ مِنْ هِوَاذِن، قال: والعجز سعد بن بكر وجرش بن بكر، ونصر بن معاوية، وثقيف، ويقال لهم: عليا هوازن، ولهذا قال أبو عمرو بن العلاء: أفصح العرب عليا هوازن، وسفلى تميم، يعنى بنى دارم، وقال أبو حاتم السجستاني: نزل بلغة قريش وهذيل وتميم والأزد وربيعة وهوازن، وسعد بن بكر، وقال أبو عبيد: ليس المراد أن كل كلمة تقرأ على سبع لغات، بل اللغات السبع مُفرقة فيه، فبعضه بلغة قريش، وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة هوازن، وبعضه بلغة اليمن وغيرهم.

ونقل أبو شامة عن بعض الشيوخ أنه قال: أنزل القرآن أولاً بلسان قريش، ومن جاورهم من العرب الفصحاء، ثم أبيع للعرب أن يقرءوه بلغاتهم التى جرت عاداتهم باستعمالها عن اختلافهم فى الألفاظ والإعراب، ولم يكلف أحد منهم الانتقال من لغته إلى لغة أخرى للمشقة.

(١) المائة: من الآية/ ٦٠.

(٢) الإسرائ: من الآية/ ٢٣.

واستشكل على هذا الرأى أنه يلزم عليه أن جبريل كان يلفظ باللفظ الواحد سبع مرات، وأجيب عن ذلك بأنه إنما يلزم هذا لو اجتمعت الأحرف السبعة فى لفظ واحد، وأن جبريل كان يأتى فى كل عرضة بحرف إلى أن تمت سبعة.

وأخيراً فقد رُدَّ هذا القول بأن عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم كلاهما قرشى من لغة واحدة، وقبيلة واحدة، وقد اختلفت قراءتهما، ومحال أن ينكر عليه لغته، فدل هذا على أن المراد بالأحرف السبعة غير اللغات.

الرابع: المراد بها سبعة أصناف، وقد اختلف القائلون به فى تعيين السبعة فقيل: أمر ونهى، وحلال وحرام، ومحكم ومتشابه، وأمثال. واحتجوا بما أخرجه الحاكم والبيهقى عن ابن مسعود عن النبى ﷺ كان الكتاب الأول ينزل من باب واحد وعلى حرف واحد، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف: زجر وأمر... إلخ.

وقد أجيب عنه بأنه ليس المراد بالأحرف السبعة التى ذكرها فى الأحاديث الأخرى؛ لأن سياق تلك الأحاديث يأبى حملها على هذا، بل هى ظاهرة فى أن المراد أن الكلمة تقرأ على وجهين وثلاثة إلى سبعة تيسيراً، والشىء الواحد لا يكون حلالاً وحراماً فى آية واحدة، ولأنه لا يجوز أن يُقرأ القرآن على أنه حلال كله أو حرام كله... إلخ.

وقيل المراد بها: المطلق والمقيد، والعام والخاص، والنص والمؤول، والناسخ والمنسوخ، والمجمل والمفسر، والاستثناء وأقسامه.

وقيل المراد بها سبعة علوم: علم الإنشاء والإيجاد، وعلم التوحيد والتنزيل، وعلم صفات الذات، وعلم صفات الفعل، وعلم صفات العفو والعذاب، وعلم الحشر والحساب، وعلم النبوات.

وهذه الأقوال غير صحيحة، فإن الصحابة الذين اختلفوا وترافعوا إلى النبى ﷺ كما ثبت فى حديث عمر وهشام وأبى وابن مسعود وغيرهم، لم يختلفوا فى تفسيره وأحكامه، وإنما اختلفوا فى قراءة حروفه^(١).

(١) النشر ١/ ٢٥.

تعقيب:

ما ذكرته من تفسير لمعنى «سبعة أحرف» هو أهم ما قيل من تفسير لها، وقد تبين لنا مما سبق:

- أن تفسير «الأحرف السبعة» بالكثرة غير مناسب لطبيعة الحديث والحكمة منه.
- وتفسير «الأحرف السبعة» باللهاجات ضعيف؛ لأنه مهما قيل في أن المراد بها اللهجات السبع، فإن الواقع العملي يأباه؛ لأن هناك لهجات كثيرة نزل بها القرآن غير ما ذكر، وقد ذكر ابن عباس في كتاب اللغات في القرآن تسعاً وعشرين قبيلة، تنتمي إلى أصول كثيرة تزيد على السبع، منها: أهل عمان، أزد شنوءة، خثعم، طييء، سبأ، أهل اليمامة، العمالقة، سدوس، أهل العشيرة^(١).
- كما أن تفسير «الأحرف السبعة» بالقراءات ضعيف جداً.
- وتفسير «الأحرف السبعة» بالأصناف وغيرها غير مناسب أيضاً لطبيعة الروايات التي رُوِيَ بها الحديث.
- والرأى الذى أميل إليه، وتُحقق به التوسعة على الأمة، وقد استقر عليه العلماء^(٢)، أنه مهما كان التباين والتنوع في قراءة اللفظ القرآني فإنه ينبغي ألا يكون فيه تضاد ولا تنافٍ للمعنى، ولا إحالة ولا فساد، ولا يخرج التباين أو الاختلاف في اللفظ عن الوجوه السبعة الآتية:
- الأول: اختلاف الأسماء من: الإفراد والتثنية والجمع، والتذكير والتأنيث، والمبالغة، وغيرها.

(١) انظر: اللغات في القرآن رواية ابن عباس / ٨، ٧.

(٢) انظر: جامع البيان لأبي عمرو الداني / ١٣، مباحث في علوم القرآن / ١٠٩-١١٣، والنشر / ٢٦-٢٨، في اللهجات العربية / ٥٧، والإتقان / ٩٩-١٠٢، والمشكل / ٢٦-٢٨.

من أمثلة ذلك: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُدْعُونَ﴾^(١)؛ حيث قرئ: (لأمانتهم)^(٢)، وواضح من هذه القراءة أن مَنْ أفرد قصد الجنس الذى يشمل كل الأمانات فهى موافقة لقراءة الجمع. ومنه تذكير «البقر» وتأنيثه تبعاً للقراءة فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾^(٣)، بصيغة الفعل الماضى (تَشَابَهَ) مراداً به التذكير. وبصيغة الفعل المضارع مؤنثاً (تَشَابَهَ) بعد حذف إحدى التاءين تخفيفاً إذ أصله (تتشابه)^(٤).

ومنه: ﴿كَيْدٌ سِحْرٍ﴾^(٥) قراءة حمزة والكسائى وخلف بكسر السين وإسكان الحاء بلا ألف، أى: كيد ذى سحر أو هم نفس السحر على المبالغة ووافقهم الأعمش، والباقون بفتح السين وبالألف وكسر الحاء اسم فاعل من سحر، وأفرد من حيث إن فعلهم نوع واحد من السحر^(٦).

الثانى: اختلاف فى وجوه الإعراب، سواء أغير المعنى أم لم يتغير، فما تغير فيه المعنى مثل قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾^(٧)، فقد قرئ: (فتلقى آدم من ربه كلمات)^(٨)، ومما لم يتغير فيه المعنى مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾^(٩) فقد قرئ: (ولا يضار)^(١٠).

(١) المؤمنون/ ٨، المعارج/ ٣٢.

(٢) الإنحاف/ ٣١٧.

(٣) البقرة: ٧٠.

(٤) انظر: الإنحاف/ ٣١٩.

(٥) طه جزء من الآية: ٦٩.

(٦) انظر: الإنحاف/ ٣٠٥.

(٧) البقرة: من الآية/ ٣٧.

(٨) الإنحاف/ ١٣٤.

(٩) البقرة: ٢٨٢.

(١٠) بضم الراء على النفى، الإنحاف/ ١٦٦.

الثالث: الاختلاف في بنية الكلمة دون إعرابها بما يغير معناها ولا يزيل صورتها نحو: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَىٰ آلِطَّائِرِ كَيْفَ تُنْشِزُهَا﴾ (نَشْرُهَا)^(١)، ﴿فُرِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ (فَرَعٌ)^(٢)، أو يغير صورتها دون المعنى مثل: (الصراط والسرائط)^(٣)، وقد رسم في المصاحف بالصاد المبدلة من السين التي هي الأصل، فوافقت قراءة الصاد رسم المصحف تحقيقًا، وقراءة السين رسم المصحف تقديرًا.

الرابع: الاختلاف بإبدال كلمة بأخرى يغلب أن تكون إحداها مرادفة للأخرى، كما في قوله تعالى: ﴿كَأَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ آيَاتٍ﴾^(٤)، فقد قرئ: (كالصوف)^(٥) أو يكون بين الكلمتين المبدلتين تقارب في مخرج أحد حروفهما، كما في: ﴿وَطَلَّحَ بَنَصُورٍ﴾؛ حيث قرئ: (طلع)^(٦)، والحاء والعين من مخرج واحد.

الخامس: الاختلاف بالتقديم والتأخير، وليس المراد هنا بالتقديم والتأخير ما يكون في الكلمة الواحدة من تقديم بعض حروفها على بعض، وإنما المراد ما يكون التقديم والتأخير فيه في الصيغة أو الكلمة، أي تقديم صيغة على أخرى أو كلمة على أخرى. ومثل ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾^(٧) قرئ: (فَيُقْتَلُونَ وَيَقْتُلُونَ)^(٨)، ففي القراءة الأولى يسرع المؤمنون إلى قتل الأعداء، وفي القراءة الثانية يتلهفون إلى ساحة المعركة تلهفًا لعل الله يتخذهم شهداء، وإن اختلفت صياغة التعبير بالقراءتين فالمعنى فيهما متقارب.

(١) البقرة: ٢٥٩، والإنحاف/١٦٢.

(٢) سبأ: ٢٣، والإنحاف/٣٥٩، ٣٦٠.

(٣) انظر: الإقناع ٢/٥٩٥.

(٤) القارعة: ٥.

(٥) هي قراءة ابن مسعود، انظر: الكشاف ٤/٣٠.

(٦) الواقعة: ٢٩، والكشاف ٤/٥٨.

(٧) التوبة: من الآية/١١١.

(٨) الكشاف ٢/١٧٣، والإقناع ٢/٦٥٨.

ومن ذلك قراءة ابن مسعود وأبى بكر: (وجاءت سكرة الحق بالموت) فى قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾^(١).

السادس: أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان جرياً على عادة العرب فى حذف أدوات الجر والعطف تارة، وإثباتها تارة أخرى. وذلك يكون فى أحرف قليلة محدودة، مع التنبيه على شذوذ كل ما لم يحفظه الأئمة الثقات منها.

فمن الزيادة قوله تعالى: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾^(٢) قرئ: (من تحتها الأنهار)، وهما قراءتان متواترتان، وقد وافق كل منهما رسم مصحف الإمام^(٣).

ومن النقصان قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلِداً سُبْحٰنَهُ﴾^(٤) بغير واو، وقد وافقت رسم المصحف الشامى والحجازى^(٥).

أما ما جاء من حذف كلمة أو زيادتها فهى قراءات أحادية، لا تدخل فى الأحرف السبعة. ومنها قراءة ابن عباس: ﴿وَكَانَ وِرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِيَةٍ عَصَبًا﴾^(٦) بزيادة (صالحة) وإبدال كلمة (إمام) من كلمة (وراء) فلا يثبت بمثلها قرآن^(٧).

السابع: اختلاف اللهجات فى الفتح والإمالة والترقيق والتفخيم والهمز والتسهيل وكسر حروف المضارعة وقلب بعض الحروف وإشباع ميم الذكورة وإشمام بعض الحركات والإدغام والإظهار، ونحو ذلك.

(١) ق: ١٩، والكشاف ٤/ ٢١.

(٢) التوبة: من الآية / ١٠٠.

(٣) قراءة «من تحتها» لابن كثير وهى فى مصاحف أهل مكة خاصة. انظر: الإقناع ٢/ ٦٥٨، والمصاحف / ٥٧.

(٤) البقرة: من الآية / ١١٦.

(٥) وهى قراءة ابن عامر. انظر: الإقناع ٢/ ٦٠١، والمصاحف / ٥٥.

(٦) الكهف: من الآية / ٧٩.

(٧) الإقناع ١/ ١٠١.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَكَانًا سُوًى﴾^(١) بضم السين، قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة، ووقف بالإمالة عليه وعلى {سُدَى} [القيامة: ٣٦] أبو بكر وحمزة والكسائي وورش وأبو عمرو على أصلهما بين يين، والباقون بالفتح على أصولهم^(٢)، وقرأ {قِيلَ} [البقرة: ١١، ١٣]، {وَوَغِيضٌ} [هود: ٤٤] بالإشمام^(٣) الكسائي وهشام.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا أَنْتُمْ نَاهُزُوا﴾^(٤)، قرأ بإسكان الزاي والهمز (هُزُوا) حمزة، وإذا وقف حذف ونقل، هذا هو المختار، وبالضم وإبدال الهمزة واوا حفص، والباقون بالضم والهمز^(٥).

وقراءة قوله تعالى: ﴿خَيْرًا بَصِيرًا﴾^(٦) بتريق الراءين، والصلابة والطلاق بتفخيم اللامين.

وقراءة قوله تعالى: (لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ، نَحْنُ نَعْلَمُ، تَسْوَدُّ وُجُوهَهُ، أَلَمْ يَعْهَدُوا) بكسر حروف المضارعة في كل ذلك.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾^(٧)، فالهذليون يقرءون: (حتى حين)، بقلب حاء (حتى) عيناً. وقوله تعالى: (عليهم دائرة السوء) (ومنهم من يُلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ) بإشمام ميم جمع الذكور في كلتا الآيتين^(٨).

ونلاحظ على الوجه الأخير أنه أوسع وأشمل من الأوجه السابقة عليه، وتحقق به السعة والتيسير مع اختلاف اللهجات، وهي الحكمة الأساسية من حديث: «أنزل القرآن على سبعة أحرف».

(١) طه: ٥٨.

(٢) الإقناع ٢/ ٦٩٩.

(٣) أي بإشمام كسر أوائلهما الضم، وقرأ الباقون بإخلاء الكسر، الإقناع ٢/ ٥٩٧.

(٤) البقرة: من الآية/ ٦٧.

(٥) الإقناع ٢/ ٥٩٨، ٥٩٩.

(٦) الإسراء: من الآية/ ١٧، ٣٠، ٩٦.

(٧) يوسف: من الآية/ ٣٥.

(٨) انظر: مباحث في علوم القرآن/ ١١٢، ١١٣.

يقول الدكتور/ صبحى الصالح: «والحق أن هذا الوجه الأخير أهم الأوجه السبعة؛ لأنه يبرز الحكمة الكبرى من إنزال القرآن على سبعة أحرف؛ ففيه تخفيف وتيسير على هذه الأمة التى تعددت قبائلها، فاختلفت بذلك لهجاتها وتباين أداؤها لبعض الألفاظ، فكان لا بد أن تُراعَى لهجاتها وطريقة نطقها، أما لغاتها نفسها فلا موجب؛ لأن القرآن اصطفى ما شاء بعد أن صهره فى لغة قريش التى تمثلت فيها لغات العرب قاطبة»^(١).

٣- هل هذه الأحرف متفرقة فى جميع القرآن؟

نعم، إنها متفرقة، بل فى كل رواية وقراءة باعتبارها سبعة أحرف، لا أنها منحصرة فى قراءة ختمة وتلاوة رواية، فمن قرأ - ولو بعض القرآن - بقراءة معينة اشتملت على الأوجه المذكورة، فإنه يكون قرأ بالأوجه السبعة التى ذكرناها دون أن يكون قرأ بكل الأحرف السبعة^(٢).

كما أن هذه الأحرف السبعة - التى ذكرناها - تستقصى كل اختلاف فى أداء القرآن، ولا تعنى وجوب التزام هذه الأوجه السبعة فى الكلمة الواحدة، فقد يكون فى كل كلمة على حدة وجهان أو أكثر، وقد يكون فيها وجه واحد فقط، وإنما يُقصد أن هذه الأوجه السبعة تُردِّد الاختلافات إلى أحد وجوهها المناسبة حين يتحقق وجود الاختلاف^(٣).

٤- هل المصاحف العثمانية مشتملة على جميع الأحرف السبعة؟

هذه مسألة خلافية، فقد ذهب جماعة من الفقهاء والمتكلمين والقراء إلى أن المصاحف العثمانية مشتملة على جميع الأحرف السبعة، وبنوا ذلك على أنه لا يجوز على الأمة أن تهمل نقل شىء من الحروف السبعة التى نزل بها القرآن، وقد أجمع الصحابة على نقل المصاحف العثمانية من الصُّحف التى كتبها أبو بكر وعمر، وإرسال كل مصحف منها إلى مصر من أمصار المسلمين، وأجمعوا على ترك ما سوى ذلك.

(١) السابق نفسه.

(٢) النشر ١ / ٣٠.

(٣) انظر: مباحث فى علوم القرآن / ١١٦، والإتقان / ١ / ٦٦.

وذهب جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين إلى أن هذه المصاحف العثمانية مشتتة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة فقط، جامعة للعرضة الأخيرة التي عرضها النبي ﷺ على جبريل... قال ابن الجزري: «وهذا القول هو الذي يظهر صوابه؛ لأن الأحاديث الصحيحة والآثار المشهورة المستفيضة تدل عليه وتشهد له...»

ولا شك أن القرآن نُسخَ منه وغيّر في العرضة الأخيرة، فقد صح النص بذلك من غير واحد من الصحابة، وروينا بإسناد صحيح عن زر بن حبیش قال: قال لي ابن عباس: أي القراءتين تقرأ؟ قلت: الأخيرة، قال: فإن النبي ﷺ كان يعرض القرآن على جبريل ﷺ في كل عام مرة، قال: فعرض عليه القرآن في العام الذي قبض فيه النبي ﷺ مرتين، فشهد عبد الله - يعني: ابن مسعود - ما نُسخَ منه وما بدل.

وإذ قد ثبت ذلك فلا إشكال أن الصحابة كتبوا في هذه المصاحف ما تحققوا أنه قرآن، وما علموه استقر في العرضة الأخيرة وما تحققوا صحته عن النبي ﷺ مما لم ينسخ وإن لم يكن داخلاً في العرضة الأخيرة، ولذلك اختلفت المصاحف بعض الاختلاف، إذ لو كانت العرضة الأخيرة فقط لم تختلف المصاحف بزيادة أو نقص وغير ذلك، وتركوا ما سوى ذلك، ولذلك لم يختلف عليهم اثنان، حتى إن علي بن أبي طالب ﷺ لما ولي الخلافة بعد ذلك لم ينكر حرفاً ولا غيره، مع أنه هو الراوي أن رسول الله ﷺ يأمركم أن تقرأوا القرآن كما علمتم، وهو القائل: «لو وليت من المصاحف ما ولي عثمان لفعلتُ كما فعل...»^(١)

وأما ما يروى من اختلاف مصاحف الصحابة للمصحف العثماني فمن أسبابه أنه لم يبلغهم النسخ فاستمروا في كتابته وقراءته قبل المصاحف العثمانية وإجماع الصحابة عليها... وكل ما جاء مخالفاً لها هو ما نسخ في العرضة الأخيرة، أو هو من قبيل التفسير الذي يكتب مع النص، أو هو خبر آحاد لا يثبت به قرآن:

(١) النشر ١/٣١-٣٣.

ومن الأوجه السبعة التى حدث فيها النسخ وجاءت مخالفة للمصحف العثمانى: الوجه الأول: الاختلافات فى وجوه الإعراب، ومنه اختلاف الحركات مع اختلاف المعنى، مثل قراءة: ﴿إِنَّمَا يَخْتَشَى اللَّهُ مِنَ عِبَادِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(١) برفع لفظ الجلالة ونصب العلماء على عكس القراءة المتواترة المعروفة، فهذه القراءة إما منسوخة بالعرضة الأخيرة، وإن وافقت العربية وخط المصحف، وإما منقولة آحاداً أو ناقلها غير ثقة، وعلى كل حال لا يثبت كونها قرآناً بهذا القدر.

الوجه الثانى: ما جاء الاختلاف فيه بإبدال كلمة من أخرى، فقد نسخ فى بعض الآيات، وهو ما خالف رسم المصاحف، نحو قراءة: (فَامْضُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ) بدلاً من ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾^(٢).

تعقيب:

ونرى ما رآه أصحاب الرأى الأول؛ لأن المصاحف العثمانية شتملة على جميع الأحرف السبعة، وما جاء من الأوجه السبعة مخالفاً بزيادة كلمة أو نقص أخرى فليس بقراءة، ولا يصح أن يكون من الأحرف السبعة^(٣).

٥- هل القراءات التى يُقرأ بها اليوم جمعت الأحرف السبعة أو بعضها؟

جواب هذا السؤال مبنى على الخلاف المتقدم، فإن مَنْ عنده أنه لا يجوز ترك شىء من الأحرف السبعة يرى أنها مستمرة النقل بالتواتر إلى اليوم، وإلا تكون الأمة جميعها عُصاة فى ترك ما تركوا منه.

يقول ابن الجزرى: «وأنت ترى ما فى هذا القول^(٤)، فإن القراءات المشهورة اليوم عن السبعة والعشرة والثلاثة عشر بالنسبة إلى كل ما كان مشهوراً فى الأعصار الأول

(١) فاطر: من الآية/ ٢٨.

(٢) الجمعة: جزء من الآية ٩، وانظر: القراءات واللهجات: عبد الوهاب حودة/ ٤٢ - ٤٤.

(٣) راجع ما سبق: ص ٣٣.

(٤) أى من المبالغة والغلو.

قَلَّ مِنْ كَثْرٍ وَنَزَرَ مِنْ بَحْرٍ، فَإِنْ مَنْ لَهُ إِطْلَاعٌ عَلَى ذَلِكَ يَعْرِفُ عِلْمَهُ الْعِلْمَ الْيَقِينِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْقُرَّاءَ الَّذِينَ أَخَذُوا عَنْ أَوْلِيئِكَ الْأَئِمَّةِ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنَ السَّبْعَةِ وَغَيْرِهِمْ كَانُوا مِمَّا لَا يُحْصَى... وَالَّذِينَ أَخَذُوا عَنْهُمْ أَكْثَرَ وَهَلُمَّ جَرَاءً، فَلَمَّا كَانَتِ الْمِائَةُ الثَّلَاثَةُ، وَاتَّسَعَ الْخَرَقُ وَقَلَّ الضَّبْطُ... تَصَدَّى بَعْضُ الْأَئِمَّةِ لِضَبْطِ مَا رَوَاهُ مِنَ الْقُرَّاءَاتِ، فَكَانَ أَوَّلُ إِمَامٍ مَعْتَبَرٍ جَمَعَ الْقُرَّاءَاتِ فِي كِتَابِ أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمِ بْنِ سَلَامٍ^(١).

إِذْنٌ فَقَدْ وَضَحَ مِمَّا سَبَقَ أَنَّ الْقُرَّاءَاتِ الَّتِي يَقْرَأُ بِهَا الْيَوْمَ جَمَعَتْ الْأَحْرَفَ السَّبْعَةَ. وَأَنَّ الَّذِي عَلَيْهِ أئِمَّةُ التَّحْقِيقِ مِنَ السَّلْفِ وَالْخَلْفِ: أَنَّ هُنَاكَ مَقْيَاسًا تَقَاسُ بِهِ الْقُرَّاءَاتِ الْيَوْمَ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ الْجَزْرِيِّ: «كُلُّ قِرَاءَةٍ وَافَقَتْ الْعَرَبِيَّةَ وَلَوْ بِوَجْهِ، وَوَأَفَقَتْ رِسْمَ أَحَدِ الْمَصَاحِفِ الْعُثْمَانِيَّةِ وَلَوْ إِحْتِمَالًا وَصَحَّ سَنَدُهَا فَهِيَ الْقِرَاءَةُ الصَّحِيحَةُ الَّتِي لَا يَجُوزُ رَدُّهَا وَلَا يَحِلُّ إِنْكَارُهَا، بَلْ هِيَ مِنَ الْأَحْرَفِ السَّبْعَةِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ. وَوَجِبَ عَلَى النَّاسِ قَبُولُهَا، سِوَاءَ أَكَانَتْ عَنِ الْأَئِمَّةِ السَّبْعَةِ أَمْ عَنِ الْعَشْرَةِ أَمْ عَنْ غَيْرِهِمْ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْمُقْبُولِينَ، وَمَتَى اخْتَلَفَ رَكْنٌ مِنْ هَذِهِ الْأَرْكَانِ الثَّلَاثَةِ أَطْلَقَ عَلَيْهَا ضَعِيفَةً أَوْ شَاذَةً أَوْ بَاطِلَةً، سِوَاءَ أَكَانَتْ عَنِ السَّبْعَةِ أَمْ عَمَّنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُمْ، هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ»^(٢).

وَأَمَّا قَوْلُ النَّاسِ: (قَرَأَ فُلَانٌ بِالْأَحْرَفِ السَّبْعَةِ) فَمَعْنَاهُ أَنَّ قِرَاءَةَ كُلِّ إِمَامٍ تَسْمَى حَرْفًا، كَمَا يَقَالُ: قَرَأَ بِحَرْفٍ نَافِعٍ أَوْ عَاصِمٍ أَوْ ابْنِ كَثِيرٍ أَوْ ابْنِ مَسْعُودٍ وَلَيْسَ مَعْنَاهُ: قَرَأَ فُلَانٌ بِالْأَحْرَفِ السَّبْعَةِ الَّتِي نَصَّ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ^(٣).

* * *

(١) النشر ١/٣٣، ٣٤.

(٢) انظر: القراءات واللهجات / ٤٦، ٤٧.

(٣) أى في الحديث الشريف: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف»، انظر: الإبانة عن معاني القراءات لمكي بن أبي طالب / ٤١، ٤٢.

رسم المصحف

نعنى برسم المصحف: الخط المكتوب به المصحف الآن، المأخوذ عن الخط المكتوب به المصحف فى عهد سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو الذى أجمع الصحابة عليه.

والمراد بالخط: الكتابة، وهو على قسمين: قياسى واصطلاحى؛ فالقياسى ما طابق فيه الخطُّ اللفظ، والاصطلاحى: ما خالفه بزيادة أو حذف أو بدل أو وصل أو فصل، وله قوانين وأصول يحتاج إلى معرفتها^(١).

وأكثر خط المصاحف موافق لتلك القوانين، لكنه قد جاءت أشياء خارجة عن ذلك، يلزم اتباعها ولا يتعدى إلى سواها^(٢)، منها ما عرفنا سببه ومنها ما غاب عنا^(٣).

رسم المصحف ليس توقيفياً؛

رسم المصحف ليس توقيفياً (أى ليس من عند الله)، ولكنه من وضع الصحابة واصطلاحهم وتوقيفهم، والدليل على ذلك:

١- أن من معجزات النبى صلى الله عليه وسلم كونه أمياً لا يكتب ولا يقرأ كتاباً، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخِطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِآرْتَابِ الْمُبِطُونَ﴾^(٤). فكيف يُملى - عليه الصلاة والسلام - زيد بن ثابت على حسب قواعد الكتابة والإملاء^(٥)!

(١) انظر على سبيل المثال: باب الهجاء: لابن الدهان النحوى (ت ٥٦٩هـ) تحقيق د/ فائز فارس - ط مؤسسة الرسالة

الأولى سنة ١٩٨٦م، والترقيم وعلاماته فى اللغة العربية: للعلامة/ أحمد زكى باشا - ط التوعية بمصر سنة ١٩٨٨م، وانتشار الخط العربى: لعبد الفتاح عبادة - نشر مكتبة الكليات الأزهرية.

(٢) ومن هنا قيل: خطان لا يقاس عليهما: خط المصحف والخط العروضى.

(٣) النشر ١٢٨/٢.

(٤) العنكبوت: ٤٨.

(٥) يرى البعض - وهو ضعيف - أن رسم المصحف توقيفى من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، أما كونه أمياً لا يكتب ولا يقرأ فقد كان ذلك قبل البعثة، فلما جاء الوحي بقوله: «اقرأ» كان قارئاً كاتباً، يشير إلى ذلك قوله تعالى فى الآية السابقة ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ ومعجزة الأمية فى حقه صلى الله عليه وسلم أدت غرضها فى كون القرآن الكريم من عند الله - فهو معهم وفيهم أربعين =

٢- لما اختلف زيد بن ثابت ومن معه في كلمة (التابوت)؛ أي كتبونها بالتاء أم بالهاء، رفعوا الأمر إلى عثمان رضي الله عنه فأمرهم أن يكتبوها بالتاء، فلو كان الرسم توقيفياً بإملاء النبي صلى الله عليه وسلم كما ظنه بعضهم لقال لهم زيد: إن النبي أمرني بكتابتها بالتاء، ولقال عثمان لزيد كاتب الوحي: اكتبها بالكيفية التي أملاك بها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قول عثمان رضي الله عنه لزيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام - أثناء نسخ المصحف: «إذا اختلفتم أنتم وزيد ابن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش»، فلو كان الرسم توقيفياً لقال لهم عثمان: اكتبوه بما أملاك به النبي صلى الله عليه وسلم.

ومما يذكر هنا أن المهاجرين تعلموا الكتابة من أهل الحيرة، وتعلمها أهل الحيرة من أهل الأنبار.

٣- لو كان الرسم توقيفياً لما اختلف الرسم في المصحف التي أرسلها عثمان رضي الله عنه إلى المدن والأمصار.

= سنة قبل البعثة - حتى يتنفي تماماً قولهم «دَرَسْتُ» قبل القرآن لتأثر بهذه الدراسة كما ينتفى تماماً قولهم: ﴿رَبَّنَا يُكَلِّمُ بَشَرًا﴾ (النحل / ١٠٣).

وجدير بالذكر أن أمية الرسول صلى الله عليه وسلم معجزة في حقه ونقص في حق غيره، كما أن انتساب عيسى عليه السلام لأمه معجزة في حقه ونقص في حق غيره.

يقول الفخر الرازي في تفسيره (١٢ / ٤٠٩): «وهذا القرآن ممن لم يقرأ ولم يكتب عين المعجزة فيعرف كونه منزلاً، وقوله تعالى: ﴿إِذَا لَزَّتْ أَبْصَارُ الْمُشْجَلِينَ﴾ (العنكبوت / ٤٨) فيه معنى لطيف، وهو أن النبي إذا كان قارئاً كاتباً ما كان يوجب كون هذا الكلام كلامه، فإن جميع كتبة الأرض وقرائها لا يقدرون عليه، لكن على ذلك التقدير يكون للمبطل وجه ارتياب، وعلى ما هو عليه لا وجه لارتياجه فهو أدخل في الإبطال»، ويقول في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ لِّيَعْقِلُوا دَرَسْتُ﴾ (الأنعام / ١٠٥) (ج٦ / ٥٠٢، ٥٠٣): حكى الواحدى في «دَرَسَ الكتاب» قولين: الأول: قال الأصمعي: أصله من قولهم: درس الطعام إذا داسه.. والدارس: الدياس بلغة أهل الشام، وقال: دَرَسَ الكلام من هذا أى يدرسه فيخفف على لسانه، والثاني: قول ابن الهيثم: درست الكتاب أى ذللته بكثرة القراءة حتى خف حفظه، قرأ ابن كثير وأبو عمرو: «دارست» أى: قرأت على اليهود وقرعوا عليك وجرت بينك وبينهم مدارسة، ويقوى هذه القراءة ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا إِلْفُكَ أَقْرَبْتَهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخِزْتَهُ﴾ (الفرقان : ٤)، وقرأ ابن عامر «دَرَسْتُ» أى هذه الأخبار التي تلوثها علينا قديمة قد درست.

وكان أكثر الصحابة ومن وافقهم من التابعين وأتباعهم يوافقون الرسم المصحفى فى كل ما يكتبونه، ولو لم يكن قرآناً ولا حديثاً، ويكرهون خلافه ويقولون لا نخالف الإمام، يريدون بذلك المصحف الذى كُتِبَ بأمر الإمام عثمان، فإنهم كانوا يسمونه الإمام من حيث اتباعه رسماً وغيره، واستمر الأمر على ذلك إلى أن ظهر علماء البصرة والكوفة، وأسسوا لهذا الفن ضوابط وروابط بنوها على أقيستهم النحوية وأصولهم الصرفية وسمّوها: علم الخط القياسى أو الاصطلاحى، وسموا رسم المصحف بالخط المُتَّبِع، وقالوا: إن رسمه سنة متبعة مقصورة عليه، فلا يقاس على غيره ولا يقاس عليه^(١).

آراء العلماء فى الالتزام بالرسم العثمانى فى كتابة المصحف:

للعلماء فى ذلك ثلاثة آراء:

(أ) الالتزام بالرسم العثمانى (خط المصحف) ولا تجوز مخالفته؛ وذلك لما روى من أن مالكا - رحمه الله - سئل: هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء؟ فقال: لا، إلا على الكتابة الأولى.

وسئل مالك أيضاً فقيل له: أرايت من استكتب مصحفاً اليوم، أترى أن يكتب على ما أحدث الناس من الهجاء اليوم؟ قال: لا أرى ذلك، ولكن يكتب على الكتابة الأولى، قال أبو عمرو: ولا مخالف له فى ذلك من علماء الأمة وبالله التوفيق.

مما سبق نرى أن الإمام مالكا - رحمه الله - رأى وجوب الالتزام بخط المصحف العثمانى لأحوال معانى الكلمات والقراءات فى أغلب الأحيان، وأيضاً لحكم خفية لا نعلمها الآن، وقد تظهر لنا بعد ذلك، وسيأتى توضيح ذلك. (ب) يجوز مخالفة الرسم العثمانى فى كتابة المصحف؛ لأن رسم المصحف اصطلاحى لا توقيفى، ومن جنح إلى هذا الرأى ابن خلدون فى مقدمته.

(١) انظر: القراءات واللهجات/ ١٠٠، ١٠١، ومباحث فى علوم القرآن/ ٧٨.

(ج) يكتب المصحف لعامة الناس على الاصطلاحات المعروفة الشائعة عندهم؛ لئلا يقع فيه تغيير من الجهال، مع المحافظة على الرسم العثماني عند الخاصة، ومن القائلين بهذا الرأي العز بن عبد السلام^(١).
ونرى أن الرأي الصحيح والصواب هو الأول؛ لقوة حجته وأدلته.

لماذا اختلف رسم المصحف عن بعض القواعد المعروفة في الكتابة؟

يرجع ذلك لعدة أمور أهمها:

١- القراءات:

قال ابن الجزري: «فانظر كيف كتبوا (الصراط والمصيطرون) بالصاد المبدلة من السين وعدلوا عن السين التي هي الأصل؛ لتكون قراءة السين وإن خالفت الرسم من وجه قد أتت على الأصل، فيعتدلان، وتكون قراءة الإشمام محتملة ولو كتب ذلك بالسين على الأصل لفات ذلك، وعُدت قراءة غير السين مخالفة للرسم والأصل، وكذلك كان الخلاف في المشهور في (بسطة) الأعراف^(٢)، دون (بسطة) البقرة^(٣)، لكون حرف البقرة كتب بالسين وحرف الأعراف بالصاد، على أن مخالف صريح الرسم في حرف مدغم أو مبدل أو ثابت أو محذوف أو نحو ذلك لا يُعد مخالفاً إذا ثبتت القراءة به ووردت مشهورة مستفاضة، ألا ترى أنهم لم يعدوا إثبات ياءات الزوائد وحذف ياء (تسئلني) في الكهف، وقراءة: (وأكون من الصالحين)، والطاء من (بضنين)، ونحو ذلك من مخالفة الرسم المردود، فإن الخلاف في ذلك يغتفر؛ إذ هو قريب يرجع إلى معنى واحد وتُمشيه صحة القراءة وشهرتها وتلقيها بالقبول، وذلك بخلاف زيادة كلمة ونقصانها وتقديمها وتأخيرها، حتى ولو كانت حرفاً واحداً من

(١) انظر: المقنع في رسم مصاحف الأمصار / ١٩، والتبيان في تفسير غريب القرآن ص ٢٧ هامش ٣.

(٢) الأعراف: من آية / ٦٩ (بسطة).

(٣) البقرة: من الآية / ٢٤٧ (بسطة).

حروف المعانى، فإن حكمه فى حكم الكلمة لا يسوغ مخالفة الرسم فيه، وهذا هو الحد الفاصل فى حقيقة اتباع الرسم ومخالفته^(١).

ومن ذلك قول أبى شامة:

«رُسمت (يا أيها) فى جميع القرآن بالألف فى آخرها إلا فى مواضع ثلاثة هى: ﴿يَتَأْتِيَنَّ السَّاحِرُ﴾ بالزخرف، ﴿أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ بالنور، ﴿أَيُّهُ الْفَقْلَانِ﴾ بالرحمن. وكأنهم أشاروا بذلك إلى جواز كتابتها على هذا الوجه؛ إما اجتزاءً بالفتحة عن الألف على قراءة الجماعة، وإما على اللغة الأخرى التى قرأ عليها ابن عامر بضم الهاء فى الوصل كما يضم المنادى المعرفة، وهى لغة عربية حكاه الكسائى والفراء، قال الفراء: هى لغة بنى أسد، يقولون: «أيه الرجل أقبل»، وذلك أنهم شبهوا هذه الهاء بهاء الضمير فضموها»^(٢).

وقال الدانى: «وكتبوا فى كل المصاحف فى يوسف ﴿آيَاتُ السَّالِينَ﴾، ﴿غَيْبَتِ الْجُبِّ﴾ فى الموضوعين، وفى سبأ: ﴿فِي الْعُرْفَتِ آمِنُونَ﴾، وفى المرسلات ﴿كَأَنَّهُ جَمَلٌ صُفْرٌ﴾ بالتاء، وهذه المواضع تقرأ أيضاً بالجمع والإفراد»^(٣).

السبب فى كتابة (بأييد) وأمثالها بياءين:

عُلل هذا بزيادة الياء، كما عُلل بزيادة الألف؛ بياناً للهمزة كما زيدت فى (مائة) والياء بعدها هى صورة الهمزة.

وذكر بعضهم^(٤) أن الهمزة بوقوعها بعد الياء خففت تخفيف المتوسطة مثل فئة (فيه)، فسقطت الهمزة من اللفظ وخلفتها ياء خالصة، فصارت (بييد) ولم يحذف الكتاب رمز الهمزة بعد سقوطها ويثبتوا رمز الياء التى خلفتها فى حالة التخفيف، بل اكتفوا بزيادة رمز الياء دون أن يحذفوا الألف، ومن ثم بدت وكأنها كتبت برمين.

(١) النشر ١/١٢، ١٣.

(٢) القراءات واللهجات/١٠٣، عن أبى شامة فى شرح الشاطبية.

(٣) المفتح/٨٦.

(٤) غانم قدورى: فى رسم المصحف/٣٩٨، وراجع ص ٤٨.

ويجوز هذا على رأى مَنْ يرى أن الرسم توقيفى؛ أى إلهام من الله، وهذا ضعيف كما سبق ومستبعد؛ لأنه لا يعقل أن يكون لكل كاتب ملك يوضح له الكتابة، بالإضافة إلى أن هذا الأمر لا يؤثر فى العقيدة؛ حيث إن ابن خلدون فى مقدمته أرجع ذلك إلى ضعف مستوى الكاتبين فى ذلك الوقت.

وأرى أن هذا الرسم قد يرجع لقراءات عرفت بين الصحابة ولم تصل إلينا، وقد تفسر بعد ذلك بدليل أن بعض الصحابة كان يكتب مصحفه بقراءة واحدة ويثبت القراءة الأخرى على هامش مصحفه فى مصحف آخر.

٢- السبب الواضح:

قال أبو عمرو: «اتفقت المصاحف على حذف الواو التى هى صورة الهمزة؛ دلالة على تحقيقها فى قوله: (الرُّبَا)، (رءياك)، (رءى) فى جميع القرآن»^(١).

وقال: «حدثنا أبو مسلم محمد بن أحمد الكاتب قال: حدثنا ابن الأنبارى قال: وحذفت الواو من أربعة أفعال مرفوعة، أولها فى «سبحان»: ﴿وَبَدَعَ الْأَنْسُنُ بِالشَّرِّ﴾، وفى «عسق»: ﴿وَمَحَّ اللهُ الْبَطْلَ﴾، وفى «القمر»: ﴿سَدَّحُ الدَّاحِ﴾، وفى «العلق»: ﴿سَدَّحُ الرَّابِنَةِ﴾. قال أبو عمرو: لم تختلف المصاحف فى أن الواو من هذه المواضع ساقطة، وكذا اتفقت على حذف الواو من قوله فى «التحریم»: ﴿وَصَلِّحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وهو واحد يؤدى عن جميع، وحذف الواو فى الأمثلة الأخيرة اكتفاء بالضممة عنها»^(٢).

ومن ذلك قول أبى عمرو أيضًا:

«واتفق كتاب المصاحف على حذف الألف من الأسماء الأعجمية المستعملة نحو: (إبرهيم وإسماعيل وإسحق وهرون وعمرن ولقمن) وشبهها، وكذا حذفوها من: (سليمن وصلح وملك) وليست بأعجمية لما كثر استعمالها، فأما ما لم يستعمل من الأعجمية فإنهم أثبتوا الألف فيه نحو: (طالوت وجالوت ويأجوج ومأجوج)

(١) المقنع / ٨٦.

(٢) السابق / ٤٢.

وشبهها، ورأيت المصاحف تختلف فى أربعة منها وهى: (هاروت وماروت وهامان وقارون)؛ ففى بعضها بالألف، وفى بعضها بغير الألف والأكثر على إثبات الألف، وفى كتاب "هجاء السنة" عن أهل المدينة: (هروت ومروت وقرون) بغير ألف رسمًا لا ترجمة، ووجدت فى مصاحف أهل العراق: (هامن) بألف بعد الهاء وفى كلها بغير ألف بعد الميم، فأما (داود) فلم يختلفوا فى رسمه بالألف فى كل المصاحف؛ لأنهم قد حذفوا من هذا الاسم واولًا فلم يحدفوا لذلك الألف منه، وكذلك (إسرائيل) رسم بالألف أيضًا فى أكثر المصاحف؛ لأنه قد حذف منه الياء التى هى صورة الهمز، وقد وجدت ذلك فى بعض المصاحف المدنية والعراقية العُتق القديمة بغير ألف، وإثباتها أكثر^(١).

٣- إجراء الوقف مجرى الوصل والعكس:

تاء التأنيث فى مثل: (الرحمة والنعمة والسنة والمرأة والكلمة واللعة والمعصية) يوقف عليها بالهاء (رحمة)... فإذا كتبت بالتاء (رحمت)... إلخ، فهى من إجراء الوقف مجرى الوصل أو رعاية للأصل، وقيل إن ذلك لغة، وعلى هذه اللغة كتب فى المصحف: (إن شجرت الزقوم، وامرات نوح، وامرات لوط) وأشبه ذلك، فوقف عليها بالتاء نافع وابن عامر وعاصم وحمزة، ووقف عليها بالهاء ابن كثير وأبو عمرو والكسائى^(٢).

ومن هنا، فإن كل هاء تأنيث فى الوقف هى تاء فى الأصل؛ منها ما رسم فى المصحف على لفظ الوقف، ومنها ما رسم على لفظ الوصل بالتاء، فما كتب من ذلك بالهاء فلا حذف فى الوقف عليها كذلك؛ لأنها هى اللغة الفصحى والرسم موافق لها، وما كتب بالتاء فهو إجراء الوقف مجرى الوصل، أو هو لغة، أو هو رعاية الأصل كما سبق آنفًا.

(١) السابق/ ٢٩، ٣٠ وانظر: القراءات واللهجات / ١٠٥، ١٠٦.

(٢) انظر: حاشية الصبان ٤/ ٢١٤، والإقناع ١/ ٥١٦، ٥١٧.

قال أبو عمرو: واجتمع أيضًا كتاب المصاحف على رسم النون الخفيفة ألفًا، وجملة ذلك في موضعين: في يوسف (٣٢) ﴿وَلِكُونًا مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾، وفي العلق (١٥) ﴿لَسَقًا بِالنَّاصِيَةِ﴾، وذلك على مراد الوقف.

وكذلك رسموا النون ألفًا لذلك في قوله: (وإذا لا يلبثون...، قد ضللت إذا) وشبهه من لفظه حيث وقع، وذلك على مراد الوصل^(١).

٤- الأثر التاريخي:

من المعلوم أن العربية لغة سامية، وقد تأثرت باللغات السامية الأخرى؛ كالعبرية والآرامية لا سيما في الخط الذي كتبت به وهو الخط النبطي^(٢)؛ حيث إن المستشرقين وجدوا نقوشًا في المناطق الشمالية من جزيرة العرب تحمل اسم جماعة تعرف بالنبط، وقد تبين لهم بعد الدرس والمقارنة أنها هي الأصل الذي تفرعت منه الكتابة العربية الإسلامية، والنبط قبائل عربية، وكانوا يكتبون بلهجة آرامية هي النبطية.

ومن مميزات الكتابة النبطية:

(أ) أن تاء التأنيث الملحقة بالأسماء تكتب كما كانت بالتاء وليست بالهاء، أو بما نسميها بالتاء المربوطة مثل «سنت».

(ب) أن الحركات الممدودة تحذف في الكتابة الآرامية أي النبطية، كالألف، فيكتبون مثلاً «حارثة» «حرثة» أي بدون ألف، و«مالك» يكتبونها (ملك)، وهو ما نشاهد أثره في رسم المصحف العثماني^(٣).

يقول المستشرق برجشتراسر: «فأهم فرق بين الإملاء الآرامي والعربي أن استخدام الألف كحرف مد في الإملاء العربي لا يقتصر على أواخر الكلمات فقط، بل يكون في أواسطها أيضًا، وهذا ما نشاهده في رسم القرآن الكريم، فكثير من الألفات المستعملة في الإملاء العربي العادي لتأدية الفتحة الممدودة ساقط في القرآن الكريم، نحو: فَعَلْنَه،

(١) انظر: المقنع / ٥٠، والقراءات واللهجات / ١٠٧.

(٢) انظر: تاريخ اللغات السامية / ٦٩ وما بعدها.

(٣) انظر: القراءات واللهجات / ١٠٨.

أى فعلناه، وكتب أى كتاب...» ثم يقول: «غير أن أصحاب الأيكة ترسم بالألف فى بعض المواضع، وبغيرها أى (أصحاب ليكة) فى بعضها، ولا ريب أن سبب ذلك هو أن بعض كتاب القرآن لم يكن يعرف (ليكة) بغير الألف واللام، فحذف همزة (الأيكة) قياساً على حذف سائر الهمزات الواقع قبلها حرف ساكن أو الساكنة بعد حركة مع مد هذه الحركة نحو: بير ويوخذ^(١)، وقال أبو شامة^(٢):

«إبراهيم لفظ أعجمى، هو بالعبرانية بالألف (إبراهام)، وتصرفت العرب فيه فقالتة بالياء، وجملة ما فى القرآن من لفظ (إبراهيم) تسعة وستون موضعاً، والمشهور عن أصحاب ابن عامر إثبات الألف فى ثلاثة وثلاثين موضعاً، وهو مكتوب فى مصاحف الشام فى ثلاثة وثلاثين موضعاً بالألف، ومن ذلك خمسة عشر موضعاً فى البقرة، وفى النساء ثلاثة: ﴿وَاتَّبَعَ مَلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ ، ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ ، ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ ، وفى آخر الأنعام: ﴿دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ ، وفى آخر براءة موضعان: ﴿وَمَا كَانُوا يَسْتَغْفَرُونَ إِبْرَاهِيمَ﴾ ، ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾.

وروى عن الأخفش أنه يقرأ مواضع بالألف ومواضع بالياء ثم ترك القراءة بالألف، وقال أبو بكر السلمى أيضاً: قال لى أبو الحسن السلمى: «كان أهل الشام يقرءون (إبراهيم) بألف فى مواضع دون مواضع، ثم تركوا القراءة بالألف وقرءوا جميع القرآن بالياء»، قال أبو على: «وهى لغة أهل الشام قديماً»، وقال أبو بكر بن مهران: «روى عن مالك بن أنس أنه قيل له: إن أهل دمشق يقرءون (إبراهام) فقال: «أهل دمشق بأكل البطيخ أبصر منهم بالقراءة»، فقيل: «إنهم يدعون قراءة عثمان ؓ فقال مالك: ها مصحف عثمان عندى، ثم دعا به فإذا فيه كما قرأ أهل دمشق». قال أبو بكر: وكذلك رأيت أنا فى مصاحفهم وكذلك إلى وقتنا هذا، وقال: «وفى سائر المصاحف إبراهيم مكتوب بالياء فى جميع القرآن إلا فى البقرة فإنه فيها بغير ياء».

(١) التطور النحوى للغة العربية/ ٢٨.

(٢) القراءات واللهجات / ١٠٨، ١٠٩ نقلاً عن أبى شامة فى إبراز المعانى.

٥- لأسباب أخرى:

(أ) كالتفخيم، أى رسم الألف وأوا في مثل: (الصلوة، والزكوة، والحيوة ومشكوة، والربو)، قصدًا لتفخيم اللفظ في النطق^(١).

(ب) الدلالة على الجمع، كما في قوله تعالى: ﴿عَيْرٌ مِّجْلَى الصَّيْدِ﴾^(٢)، بياء وإن كانت في اللفظ محذوفة لالتقاء الساكنين خلاف ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾^(٣)؛ لأن الواو هنا لام الكلمة والحاجة إليها داعية، فإن وجدت وإلا طلبت، والياء في «مجلَى» زائدة، دالة على الجمع والجر، فإذا حذفت عاد الجمع مفردًا^(٤).

(ج) وحمل الخط على اللفظ كما كتب في المصحف: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ﴾^(٥)، ﴿وَمَنْعَ اللَّهِ﴾^(٦)، ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾، بغير واو وهو في موضع الرفع، كما كتبوا ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ﴾^(٧) بغير ياء حملوا الخط على اللفظ ولم يعتبروا صورة الإبدال والانفصال^(٨).

(د) قد يرجع اختلاف الرسم لضعف مستوى الكتابة وقت التدوين: المعروف أن الخطين الشائعين في أول الإسلام هما الكوفي للمصاحف ونحوها، والنسخي أو النبطي للرسائل ونحوها، ثم إن ابن مقلة (ت ٣٢٨هـ) جعل الخط النسخي على قاعدة جميلة حتى أدخله في كتابة المصاحف^(٩) بعد ذلك.

يقول ابن كثير: «إن الكتابة في ذلك الزمان لم تُحكَم جيداً، ولذا وقع في كتابة المصحف اختلاف في وضع الكلمات من حيث صناعة الكتابة لا من حيث المعنى»^(١٠).

(١) باب الهجاء لابن الدهان / ٤٦، والمنع / ٦٠.

(٢) المائة من الآية: ١.

(٣) العلق: ١٨.

(٤) انظر: باب الهجاء / ٤٨.

(٥) الإسراء: ١١.

(٦) الشورى: ٢٤.

(٧) النساء: ١٤٦.

(٨) انظر: باب الهجاء / ٣٧، ٣٨.

(٩) انظر: تاريخ آداب اللغة العربية - زيدان / ١، ٢٠١، ٢٠٢.

(١٠) القراءات واللهجات / ١٠٩، عن ابن كثير في فضائل القرآن.

ومن هنا رأينا في المصحف كلمات زيد فيها حرف لغير سبب معروف، من ذلك قول أبي عمرو: «ولا خلاف بينها (المصاحف) في زيادة الألف بعد الميم في قوله: (مائة) و(مائتين)، ولم تزد في قوله: (فئة) و(فتتين)، وكذلك زيدت الألف بعد الواو في قوله وَعَلَى (الربوا) في جميع القرآن، وفي قوله: (إِنْ أَمْرٌ هَلْكَ) في النساء (١٧٦)، وكذلك زيدت في نحو (يعبثوا)، و(لا تظمئوا) و(يبدؤا) و(الضعفوا) و(إنا براءوا) وشبهه مما رُسمت الهمزة المتطرفة المضمومة فيه على مراد الوصل...»، وقال محمد بن عيسى: «رأيت في المصاحف كلها (شيء) بغير ألف، ما خلا في الكهف (٢٣) يعني قوله: (وَلَا تَقُولَنَّ لِيْشَيْءٍ)»^(١).

- ومن ذلك أنهم حذفوا الألف بعد الواو في (السموات) و(سماوات) في جميع القرآن إلا في موضع واحد، فإن الألف مرسومة فيه، وهو قوله: ﴿سَمِعَ سَمَوَاتٍ﴾^(٢) فأما الألف التي بعد الميم فمحذوفة في كل موضع بلا خلاف.
- وقال الداني: عن عاصم الجحدري قال: في الإمام (ولأوضعوا) التوبة/ ٤٧، و(لأذبحنه) في النمل/ ٢١ بالألف.
- وقال أيضاً: سمعت الكسائي يقول: (لدا الباب) كتبت في يوسف (٢٥) بألف، قال أبو عمرو واتفقت المصاحف على ذلك، واختلفت في (لدى الحناجر) في المؤمن/ ١٨، فرسم في بعضها بالياء وفي بعضها بالألف، وأكثرها على الياء^(٣).

ثم يقول ابن خلدون^(٤) عن الخط والكتابة: «... فالقول بأن أهل الحجاز إنما لقنوها من الحيرة ولقنها أهل الحيرة من التبابعة وحمير، هو الأليق من الأقوال، وكان لحمير كتابة تسمى (المسند) حروفها منفصلة، وكانوا يمتنعون من تعلمها إلا بإذنهم، ومن حمير تعلمت مصر الكتابة العربية إلا أنهم لم يكونوا مجيدين لها، شأن الصنائع إذا وقعت بالبدو فلا تكون محكمة المذاهب... وكانت كتابة العرب بدوية مثل - أو قريباً

(١) المقنع/ ٤٨، ٤٩.

(٢) فصلت: من الآية/ ١٢.

(٣) القراءات واللهجات/ ١١٠، ١١١ عن المقنع.

(٤) انظر: المقدمة/ ٣٢٢، ٣٢٣.

من - كتاباتهم لهذا العهد... فكان الخط العربي لأول الإسلام غير بالغ إلى الغاية من الإحكام والإتقان والإجادة، ولا إلى التوسط؛ لما كان العرب من البداوة والتوحش وبعدهم عن الصنائع، وانظر ما وقع لأجل ذلك في رسمهم المصحف حيث رسمه الصحابة بخطوطهم، وكانت غير مستحكمة في الإجادة، فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند أهلها، ثم اقتفى التابعون من السلف رسمهم فيها تبركاً بما رسمه أصحاب رسول الله ﷺ، وخير الخلق من بعده المتلقون لوحيه من كتاب الله، كما يقتفى لهذا العهد خط وليّ أو عالم؛ تبركاً ويتبع رسمه خطأ أو صواباً... ولا تلتفتن في ذلك إلى ما يزعمه بعض المغفلين من أنهم مُحْكَمُونَ لصناعة الخط، وأن ما يتخيل من مخالفة خطوطهم لأصول الرسم ليس كما يتخيل، بل لِكُلِّها وجه، ويقولون في مثل زيادة الألف في (لا أذبحنه) إنه تنبيه على أن الذبح لم يقع، وفي زيادة الياء في (بأييد) إنه تنبيه على كمال القدرة الربانية، وأمثال ذلك مما لا أصل له، إلا التحكم المحض، وما حملهم على ذلك إلا اعتقادهم أن في ذلك تنزيهاً للصحابة عن توهم النقص في قلة إجادة الخط، وحسبوا أن الخط كمال فنزههم عن نقصه ونسبوا إليهم الكمال بإجادته، وطلبوا تعليل ما خالف الإجادة من رسمه، وذلك ليس بصحيح، ويقول:

«واعلم أن الخط ليس بكمال في حقهم، إذ الخط من جملة الصنائع المدنية المعاشية... وقد كان ﷺ أمياً، وكان ذلك كمالاً في حقه؛ لشرفه وتنزهه عن الصنائع العملية التي هي أسباب المعاش والعمران كلها، وليست الأمية كمالاً في حقنا؛ إذ هو منقطع إلى ربه ونحن متعاونون على الحياة الدنيا بشأن الصنائع كلها حتى العلوم الاصطلاحية، فإن الكمال في حقه هو تنزهه عنها جملة بخلافنا».

اختلاف المصاحف العثمانية^(١) فيما بينها بالزيادة والنقص:

قبل أن نوضح ذلك نجيب عن هذا التساؤل:

لماذا اختلف الرسم فى المصاحف المنسوخة من مصحف الإمام؟ قال أبو عمرو: «قلت: السبب فى ذلك عندنا أن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه لما جمع القرآن فى المصاحف ونسخها على صورة واحدة، وأثر فى رسمها لغة قريش دون غيرها مما لا يصح ولا يثبت نظرًا للأمة واحتياطًا على أهل الملة، وثبت عنده أن هذه الحروف من عند الله سبحانك كذلك منزلة، ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسموعة، وعلم أن جمعها فى مصحف واحد على تلك الحال غير متمكن إلا بإعادة الكلمة مرتين وفى رسم ذلك من التخليط والتغيير للمرسوم ما لا خفاء به - ففرقها فى المصاحف لذلك، فجاءت مثبتة فى بعضها ومحذوفة فى بعضها؛ لكى تحفظها الأمة كما نزلت من عند الله سبحانك وعلى ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهذا سبب اختلاف مرسومها فى مصاحف أهل الأمصار»^(٢).

أمثلة:

قال السجستاني: «حدثنا عبد الله محمد بن يحيى حدثنا خلاد بن خالد المقرئ عن الكسائي قال: «اختلف أهل المدينة وأهل الكوفة وأهل البصرة؛ فأما أهل المدينة فقرأوا فى البقرة (١٣٢): (وأوصى بها إبراهيم)، وأهل الكوفة وأهل البصرة (ووصى بها) بغير ألف، وأهل المدينة فى آل عمران (١٣٣): (سارعوا إلى مغفرة من ربكم) بغير واو، وأهل الكوفة وأهل البصرة: (وسارعوا) بواو، ويقول أهل المدينة فى المائدة: (من يرتدد) بدالين، ويقول أهل الكوفة وأهل البصرة: (من يرتد) بدال واحدة،

(١) هى المصاحف التى بعث بها عثمان إلى مكة والمدينة والكوفة والبصرة واليمن والبحرين والشام بعد نسخة المدينة واحتفاظه لنفسه بنسخة عرفت بـ (المصحف الإمام)، وهذه النسخة الأخيرة وجد فيها كل الاختلافات فى الرسم أو غيره التى وجدت فى المصاحف العثمانية التى وجهت إلى الأمصار، وكانت المصحف الإمام؛ لكونها مرجعًا للمصاحف العثمانية الأخرى.

(٢) المتن/ ١١٨، ١١٩.

ويقول أهل المدينة وأهل البصرة في الأنعام (٦٣): (لئن أنجيتنا) وأهل الكوفة: (لئن أنجانا)»^(١).

وقال أبو عمرو في باب: ذكر ما اختلف فيه مصاحف أهل الحجاز والعراق والشام المتسخة من الإمام بالزيادة والنقصان: «وهذا الباب سمعناه من غير واحد من شيوخنا، من ذلك في البقرة (١١٦) في مصاحف أهل الشام: (قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ) بغير واو قبل (قالوا)، وفي سائر المصاحف: (وقالوا)، وفي الأعراف (٣) في مصاحف أهل الشام: {قَلِيلًا مَا يَتَذَكَّرُونَ}، بالياء والتاء، وفي سائر المصاحف: (تذكرون) بالتاء من غير ياء... وفي يونس (٢٢) في مصاحف أهل الشام: (هو الذي ينشركم في البر والبحر) بالنون والشين، وفي سائر المصاحف: (يسيركم) بالسين والياء... وفي «سبحان» (٩٣) في مصاحف أهل مكة والشام: (قال سبحان ربي هل كنت) بألف، وفي سائر المصاحف: (قل) بغير ألف... وفي الشعراء (٢١٧) في مصاحف أهل المدينة والشام: (فتوكل على العزيز الرحيم) بالفاء، وفي سائر المصاحف: (وتوكل) بالواو... وفي يس (٣٥) في مصاحف الكوفة: (ما عملت أيديهم) بغير هاء بعد التاء، وفي سائر المصاحف: (ما عملته) بالهاء، وفي الزخرف (٦٨) في مصاحف أهل المدينة والشام: (يا عبادي لا خوف عليكم) بالياء، وفي مصاحف أهل العراق: (يعباد) بغير ياء... وفي الشمس (١٥) في مصاحف أهل المدينة: (فلا يخاف عقبها) بالفاء، وفي سائر المصاحف: (ولا يخاف) بالواو»^(٢).

ويتضح من الأمثلة السابقة وغيرها مما هو مختلف في رسم المصاحف العثمانية بالزيادة أو النقص، أن هذه الاختلافات لا تغير المعنى؛ فضلاً عن أنها من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم في قول رسول الله ﷺ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها كافٍ شافٍ»^(٣).

(١) المصاحف/٤٩.

(٢) المقنع/١٠٦-١١٢.

(٣) راجع ما سبق ص: ٢٣. ومعنى «كافٍ شافٍ» أي كل حرف من تلك الأحرف شافٍ للخليل، كافٍ في أداء المقصود من فهم المعنى وإظهار البلاغة والفصاحة. وقيل: شافٍ لصدور المؤمنين لاتفاقها في المعنى، كافٍ في الحججة على صدق النبي ﷺ.

نقط المصحف وكيفية ضبطه

ويتصل اتصالاً وثيقاً برسم المصحف نقط المصحف وشكله، وقد عرفنا سابقاً^(١) أن سيدنا عثمان رضي الله عنه عندما جمع المصحف ونسخه كان غير منقوط ولا مشكول؛ حتى يحتمل رسمه القراءات المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل إن الصحابة - رضوان الله عليهم - وكثيراً من التابعين كانوا يكرهون نقط المصحف أو شكله في بداية الأمر؛ خشية الزيادة في الحروف أو تغييرها.

روى السجستاني: حدثنا عبد الله.. حدثنا هشام عن الحسن أنه كره أن تُنقَط المصاحف بالنحو، وروى أيضاً عن عبد الله بن محمد بن آدم.. عن الحسن وابن سيرين أنهما كانا يكرهان نقط المصاحف^(٢).

الترخيص في نقط المصحف:

وظل الحال كذلك - حوالى أربعين سنة - والناس يقرءون القرآن دون نقط أو شكل حتى اختلط العرب بالأعاجم، وفسدت الألسنة، وكثر التصحيف والتحريف، وخشى العلماء أن يتسرب الخطأ إلى كتاب الله تعالى فتلتبس الحروف والكلمات والمعانى للمصحف الشريف إذا ظل غير منقوط ولا مشكول، «ففكروا بإحداث أشكال معينة تساعد على القراءة الصحيحة، وفي هذا الحال يُذكر كُُلُّ من عبيد الله بن زياد (ت ٦٧هـ) والحجاج بن يوسف الثقفى (ت ٩٥هـ)، فأما ابن زياد فيُنسب إليه أنه أمر رجلاً فارسى الأصل بإضافة الألف إلى ألفى كلمة حُذِفَتْ منها، فكان هذا الكاتب ينسخ (قالت) بدلاً من (قلت)، و(كانت) بدلاً من (كنت).

(١) راجع ص ١٧.

(٢) انظر: المصاحف / ١٥٨ - ١٦٠. والخبر ضعيف.

وأما الحجاج فقد عَيَّرَ في مصحف عثمان أحد عشر حرفاً، منها: في البقرة (٢٥٩): (لم يتسن) فغيرها (لم يتسنه) بالهاء، وفي المائدة (٤٨): (شريعة ومنهاجاً) فغيرها (شرعة ومنهاجاً)، وفي الزخرف (٣٢): (نحن قسمنا بينهم معائشهم) فغيرها (معيشتهم)، وفي إذا الشمس كورت (٢٤): (وما هو على الغيب بظنين) فغيرها (بضنين)، فكانت هذه المواضع بعد إصلاحه أوضح قراءة وأيسر على الفهم^(١).

ومن أجل ذلك رأينا روايات تجيز نقط المصاحف بعد أن كان مكروهاً أوّل الأمر. قال السجستاني: «حدثنا عبد الله حدثنا الحسن بن أحمد... عن محمد بن سيف قال: سألت الحسن عن المصحف ينقط بالعربية قال: أوّماً بلغك كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن تفقهوا في الدين، وأحسنوا عبارة الرؤيا، وتعلموا العربية؟ وحدثنا عبد الله حدثنا أبو الطاهر حدثنا ابن وهب قال: أخبرنا نافع بن أبي نعيم القارئ قال: سألت ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن شكل القرآن في المصاحف فقال: لا بأس به^(٢).

مَنْ نَقَطَ الْمُصْحَفَ وَشَكَّلَهُ؟

اختلفت الروايات فيمن نقط المصحف أوّلاً؛ فقليل إنه أبو الأسود الدؤلي (ظالم ابن عمرو بن سفيان... بن كنانة، ت ٦٩ هـ) أخذ أبو الأسود العربية عن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فكان لا يخرج شيئاً مما أخذه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى أحد، حتى بعث إليه زياد بن أبيه (ت ٥٣ هـ): «اعمل شيئاً تكون فيه إماماً ينتفع الناس به وتعرب به كتاب الله تعالى» فاستعفاه من ذلك حتى سمع أبو الأسود قارئاً يقرأ: (أن الله برىء من المشركين ورسوله) بجر رسوله، فقال: «ما ظننت أن أمر الناس صار إلى هذا»، فرجع إلى زياد فقال: أنا أفعل ما أمر به الأمير، فليُتَعْنَى كاتباً لِقِنّاً يفعل ما أقول، فأُتِيَ بكاتب من عبد قيس فلم يرضه فأُتِيَ بآخر، فقال له أبو الأسود: «إذا فتحت فإي فاجعل نقطة

(١) انظر: المصاحف/ ١٣٠، ومباحث في علوم القرآن/ ٩٠، ٩١. ويبدو لي أن الحجاج اطلع على نسخة أخرى غير مصحف عثمان فغير فيها وظن أنها مصحف عثمان، رضى الله عن الجميع.

(٢) انظر: المصاحف/ ١٦٠، ١٦١.

فوق الحرف، وإذا كسرت فإى فاجعل نقطة تحت الحرف، وإذا ضمنت فإى فاجعل نقطة أمام الحرف، فإذا أتبت شيئاً من هذه الحركات غنة - يعنى تنويناً - فاجعل نقطتين»، ففعل ذلك حتى أتى على آخر المصحف، فهذا نقط أبى الأسود^(١).
وقيل: إن نصر بن عاصم الليثى (ت ٨٩هـ) أول من نقط المصحف وجعله أحماً وأعشاراً، وقيل: إن يحيى بن يعمر العَدَوانى (ت ١٢٩هـ) أول من نقط المصحف.
وأكثر العلماء على أن المبتدئ بذلك أبو الأسود الدؤلى، جعل الحركات والتنوين لا غير، وأن الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ) هو الذى جعل الهمز والتشديد والروم والإشمام، أما يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم، فقد أكمل ما بدأه أبو الأسود، وأتما هذا العمل الجليل.

المصاحف فى طور التجديد والتحسين:

«وأخذ الناس بعد ذلك يتنافسون فى اختيار الخطوط الجميلة وابتكار العلامات المميزة، حتى جعلوا للحرف المشدد علامة كالقوس، ولألف الوصل جرة فوقها أو تحتها، على حسب ما قبلها من فتحة أو كسرة أو ضمة»^(٢).
ومن المحدثات التى كرهها العلماء ثم انتهوا إلى إباحتها أو استحبابها أخيراً، بدعة قراءة العناوين فى رأس كل سورة، ووضع رموز فاصلة عند رءوس الآى، وتقسيم القرآن إلى أجزاء، والأجزاء إلى أحزاب، والأحزاب إلى أرباع، والإشارة إلى ذلك كله برموز خاصة^(٣).

(١) انظر: النقط لأبى عمرو/ ١٢٩، وأخبار النحويين البصريين/ ١٠-١٢ والمصاحف/ ١٦٢-١٦٥.

(٢) راجع: مباحث فى علوم القرآن/ ٩٥ عن مناهل العرفان للزرقانى.

(٣) ينبغى أن نعلم أن الإجماع منعقد على أن ترتيب الآيات توقيفى لا شبيهة فى ذلك، كما أن النصوص المترادفة تؤكد أن ترتيب الآيات فى سورها واقع بتوقيفه ﷺ وأمره من غير خلاف فى هذا بين المسلمين، وكان رسول الله ﷺ يلقن أصحابه ويعلمهم ما نزل عليه من القرآن على الترتيب الذى هو الآن فى مصاحفنا بتوقيف جبريل إياه على ذلك وإعلامه عند نزول آية أن هذه الآية تكتب عقب آية كذا فى سورة كذا، فثبت أن سعى الصحابة كان فى جمعه فى موضع واحد لا فى ترتيبه، وأما ترتيب السور فهل هو توقيفى أو هو باجتهاد الصحابة؟ ففيه خلاف؛ فجمهور العلماء على الثانى، ولذلك وجدنا اختلاف مصاحف السلف فى ترتيب السور؛ فمصحف على ﷺ كان أوله: اقرأ ثم المدثر، =

وقد أسهم الخطاطون في تجويد المصاحف وتحسين كتابتها، ويقال: إن الخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ) اختار لكتابة المصاحف خالد بن أبي الهياج الذي كان مشهوراً بجمال خطه، وهو الذي خط المحراب في المسجد النبوي بالمدينة، وقد ظل الخطاطون يكتبون المصاحف بالخط الكوفي حتى أواخر القرن الرابع الهجري، ثم حل محله خط النسخ الجميل في أوائل القرن الخامس، وفيه جميع النقط والحركات التي لا تزال نستخدمها في الكتابة إلى يومنا هذا^(١).

طباعة المصحف:

ولكن الله ﷻ الذي تكفل بحفظ كتابه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَنَكْفِيُونَ﴾^(٢) شاء أن ينتشر كتابه في الآفاق بوساطة الطباعة، وهذه أيضاً مرت - ككتابة القرآن خطأ - بأطوار التجويد والتحسين، وقد ظهر القرآن مطبوعاً لأول مرة في البندقية حوالى سنة ١٥٣٠م، ولكن السلطات الكنسية أصدرت أمراً بإعدامه حال ظهوره، ثم قام «هنكلمان» بطبع القرآن في مدينة (هانبورغ) سنة ١٦٩٤م، ثم تلاه «مراكي» بطبعه في (بادو) سنة ١٦٩٨م.

ولم يكن لأى واحدة من هذه الطبعات الثلاث أثر يذكر في العالم الإسلامى، ثم ظهرت أول طباعة إسلامية خالصة للقرآن في (سانت بترسبورغ) بروسيا سنة ١٧٨٧م، وهى التى قام بها «مولاي عثمان»، وظهر مثلها في (قازان)، وإذ بإيران تقدم طبعتين حجريتين؛ إحداهما في (طهران) سنة ١٨٢٨م، والأخرى في (تبريز) سنة ١٨٣٣م، ويقوم (فلوجل) سنة ١٨٣٤م بطبعته الخاصة للقرآن في (ليزيغ) فيتلقاها الأوروبيون بحماسة منقطعة النظير بسبب إملائها الحديث السهل، ولكنها لا تصيب نجاحاً فى

= ومصحف ابن مسعود: البقرة ثم النساء وهكذا، وذهب إلى الرأى الأول جماعة قالوا: إن اتساق السور كاتساق الآيات والحروف كلها عن النبي ﷺ وهذا ما نراه. الإقتان ١/ ٨٠-٨٤.

(١) مباحث فى علوم القرآن / ٧٩-٩٩ والمصاحف / ١٣١-١٣٣.

(٢) الحجر: ٩.

العالم الإسلامي، وتظهر في (الهند) طبعات للقرآن الكريم أيضًا، ثم تُعنى (الأستانة) ابتداء من سنة ١٨٧٧ م بهذا الأمر العظيم.

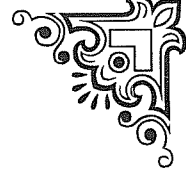
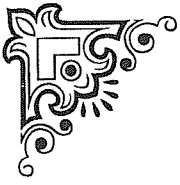
ثم كان حدثٌ سعيدٌ على جانب عظيم من الأهمية حين ظهرت في القاهرة طبعة أنيقة جميلة دقيقة لكتاب الله سنة ١٩٣٣ م تحت إشراف مشيخة الأزهر، وبإقرار اللجنة المعنية من قِبَل «الملك فؤاد الأول»، وقد كُتِبَ هذا المصحف وضبطَ على ما يوافق رواية حفص لقراءة عاصم، وقد تلقى العالم الإسلامي هذا المصحف بالقبول، وأصبحت ملايين النسخ التي تطبع منه سنويًا هي وحدها المتداولة، أو تكاد تكون هي المتداولة لإجماع العلماء من مشارق الأرض ومغاربها على الدقة الكاملة في رسمه وكتابته^(١).

وكان من أشهر الطبعات للمصحف في أيامنا المعاصرة طباعته في مجمع الملك فهد بالمملكة العربية السعودية، بإشراف وزارة الحج والأوقاف هناك سنة ١٤٠٦ هـ، وقد ضبطت على ما يوافق رواية حفص عن عاصم بعد مراجعة دقيقة من لجنة متخصصة تتكون من ستة عشر عضوًا، وقد انتشرت هذه الطبعة انتشارًا واسعًا، ووزعت في كل أنحاء العالم الإسلامي. وما زال الباب مفتوحًا للإجادة والتحسين في طباعة المصحف إلى أن تقوم الساعة، وصدق الله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^(٢).

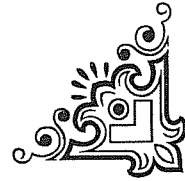
* * *

(١) مباحث في علوم القرآن / ٩٩، ١٠٠.

(٢) الحجر: ٩.



القسم الثاني
فى
فن التجويد
(الأداء القرآنى)



القسم الثاني فن التجويد (الأداء القرآني)

أهميته:

القرآن الكريم معجز بلفظه ومعناه ورسمة، وفضله على سائر الكلام كفضل الله ﷻ على خلقه، وفي الحديث الصحيح «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»^(١)، ومن هنا يجب الاهتمام بتلاوة القرآن وأدائه أداءً خاصاً يعتمد - دون غيره - على المشافهة والتلقى، وقد أمر الله ﷻ نبيه ﷺ بذلك حيث قال: ﴿وَرَبِّلِ الْقُرْآنِ تَرْتِيلاً﴾^(٢)، وقد تعلمه نبينا ﷺ من جبريل ﷺ عن الله ﷻ، ثم راجعه جبريل مع رسول الله في كل عام مرة، وفي العام الأخير - الذي قبض فيه رسول الله ﷺ - مرتين، ثم علمه رسول الله للصحابة - رضوان الله عليهم - وراجعه معهم، ثم نقل ذلك إلى التابعين ومن بعدهم بالتواتر إلى اليوم وإلى أن تقوم الساعة.

وإلى القارئ الكريم ما يبين ذلك، نقول وبالله التوفيق:

١- مفهوم التجويد:

التجويد في اللغة: مصدر من قولنا: جَوَّدَ الشيء إذا حَسَّنَهُ، والاسم منه الجودة ضد الرداءة، يقال: جود فلان في كذا، إذا فعل ذلك جيداً.

وفي اصطلاح أهل الفن: إعطاء الحروف حقوقها ومستحقها^(٣)، وردُّ الحرف إلى مخرجه وأصله وتصحيح لفظه وتلطيف النطق به على حال صيغته وكمال هيئته - كما أنزل الله تعالى - من غير إسراف ولا تعسف، ولا إفراط ولا تكلف^(٤).

(١) صحيح البخارى ٢٣٢ / ٣.

(٢) المزمّل: من الآية / ٤.

(٣) والفرق بين حقوقها ومستحقها: أن حق الحرف مخرجه وصفاته اللازمة. ومستحقه: صفاته الناشئة عن صفاته اللازمة؛ كترقيق المستتل وتفخيم المستعل.

(٤) انظر: النشر في القراءات ١ / ٢١٠، ٢١٢ والطرازات المعلمة / ٢٥٥.

٢- دلياله:

من القرآن قوله تعالى: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾^(١).

ومن السنة ما ورد عند البخارى فى باب «حسن الصوت بالقراءة»، حدثنا محمد ابن خلف... عن أبى موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يا أبا موسى لقد أوتيت مِزْمَارًا من مزامير آل داود»، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أَنْزَلَ فَلْيَقْرَأْ قِرَاءَةَ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ يَعْنِي: عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ (ت ٣٢هـ)، وفى الأثر عن عبد الله بن مسعود: «جَوِّدُوا الْقُرْآنَ وَزِينُوهُ بِأَحْسَنِ الْأَصْوَاتِ وَأَعْرَبُوهُ فَإِنَّهُ عَرَبِيٌّ، وَاللَّهُ يَحِبُّ أَنْ يُعْرَبَ بِهِ»^(٢)؛ أى: يقرأ قراءة عربية صحيحة.

٣- حكمه:

العلم به فرض كفاية، والعمل به فرض عين على كل من يريد أن يقرأ شيئًا من القرآن الكريم^(٣).

٤- غايته:

صون القرآن الكريم عن اللحن والتغيير، وقد عد العلماء القراءة بغير تجويد لحنًا، فقسموا اللحن إلى: جلى وخفى؛ فالجلى كالخطأ فى الإعراب، والخفى كالخطأ فى القراءة^(٤)، وسيأتى تفصيل ذلك.

٥- كيف يُقرأ القرآن؟ (مراتب القراءة):

القراءة سنة متبعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقلها الخلف عن السلف، ولا تخضع للقارئ أو لبيئته، وللقرآن الكريم مراتب فى قراءته ينبغى أن يتنبه لها القارئ، وهى:

■ التحقيق:

وهو مصدر من حققت الشيء تحقيقًا إذا بلغت يقينه وحقيقته.

(١) المزمّل: من الآية/ ٤.

(٢) انظر: صحيح البخارى ٣/ ٢٣٥، والنشر ١/ ٢١٠، ٢١٢، وكيف تجود القرآن؟ محمد الهلاوى / ٧-١٣.

(٣) مرشد المرید إلى علم التجويد/ ٣.

(٤) الإلتقان فى علوم القرآن - للسيوطى / ١- ١٣٢.

ومعناه: إعطاء كل حرف حقه من إشباع المد وتحقيق الهمز... إلخ، ومراعاة أحكام التلاوة مع اليسر والتؤدة وهو غاية الترتيل. ويُستحب الأخذ به فى مقام التعليم.

■ الترتيل:

وهو مصدر من رَتَّل فلان كلامه إذا أتبع بعضه بعضاً على مكث وتفهم من غير عجلة، وهو الذى نزل به القرآن، قال تعالى: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ رَتِيلًا﴾^(١). قال ابن عباس: بَيَّنَّه، وقال مجاهد: تَأَنَّ فِيهِ^(٢).

ومعناه: قراءة القرآن بتؤدة وروية؛ ليكون ذلك عوناً على تدبر القرآن وتفهمه.

■ الحذر:

هو مصدر من حَذَرَ بالفتح يحذر بالضم إذا أسرع. ومعناه: إدراج القراءة وسرعتها وتخفيفها بالقصر والتسكين والاختلاس والبدل، وغير ذلك مما وردت به القراءة. وهو مذهب يقصد به الإكثار من القراءة لتكثير الحسنات.

■ التدوير:

أى التوسط بين مقامى التحقيق والحذر، وهو مذهب أكثر الأئمة^(٣). وأفضل المراتب السابقة: هو القراءة بالترتيل؛ لنزول القرآن الكريم بها، ولأن الهدف من قراءة القرآن هو تدبر معانيه وفقهها.

٦- اللحن فى القراءة:

المراد باللحن هنا: الخطأ فى القراءة، وينقسم إلى قسمين: جلى وحفى.

(١) المزمّل: من الآية / ٤.

(٢) النشر ١/ ٢٠٨.

(٣) المرجع السابق ١/ ٢٠٥ - ٢٠٨.

فالجلى: الخطأ الذى يطرأ على اللفظ فيخل بمبناه (أى هيئته) إخلالاً ظاهراً يعرفه الخاصة والعامة على السواء. مثل تغيير حركة الحرف فيؤدى إلى فساد المعنى؛ كضم التاء فى قوله تعالى: ﴿أَنْتَ عَالِمُ الْغَيْبِ﴾^(١)، أو فتحها فى قوله تعالى: ﴿مَآقِلُ لَهُمْ﴾^(٢)، وقد تغير الحركة أو الحرف دون إفساد المعنى فيُعدُّ ذلك خطأً جلياً أيضاً، كقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكِلِدْ وَلَمْ يُؤَلِّدْ﴾^(٣)، بتحريك المجزوم، ونطق قوله تعالى: ﴿الطَّائِفَةُ الْكَبِيرَى﴾^(٤) بقلب الطاء تاءً أو دالاً.

ومن ذلك الخطأ الإخلال بأحكام التجويد الظاهرة؛ كترك المندود الطبيعية من «قال»، أو ترك الإدغام والإظهار، كما سنعرفه.

والخفى: الخطأ الذى يتعلق بكمال إتقان النطق لا بتصحيحه، وهو اختصاص أهل هذا الفن مثل: عدم ضبط مقادير المدود بالنقص أو الزيادة.

ومن وقع فى اللحن الجلى لا تصح قراءته، وينبغى عدم الصلاة خلفه.

ومن وقع فى اللحن الخفى فهو محل بإتقان القراءة مع صحة الصلاة خلفه^(٥).

٧- القراءة الصحيحة:

هى كل قراءة وافقت اللغة العربية، ووافقت رسم أحد المصاحف العثمانية، وثبتت بطريق التواتر، كما ذكر علماء القراءات.

فكل قراءة تحققت فيها الأركان السابقة يجب قبولها، ومتى لم تتحقق الأركان السابقة أو ركن منها فى قراءة فهى قراءة شاذة ومردودة.

والمراد بقولهم: وافقت اللغة، أن تكون موافقة لوجه من وجوه النحو، سواء كان أفصح أو فصيحاً مثل قراءة حمزة (بجر) الأرحام فى قوله تعالى: ﴿وَأَنْقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ

(١) الفاتحة: من الآية / ٧.

(٢) المائدة: من الآية / ١١٧.

(٣) الإخلاص: ٣.

(٤) النازعات: من الآية / ٣٤.

(٥) كيف تجود القرآن / ١٤-١٦.

يُدَّعَى وَالْأَرْحَامُ ﴿١﴾ وقراءة «الأرحام» بالجر عطفًا على الضمير المجرور فى «به»، وقياس النحويين فى مثل هذا: أنه لا يعطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجار. فالقراءة صحيحة لموافقتها لوجه من وجوه العربية.

والمراد بقولهم: وافقت رسم أحد المصاحف، أن تكون ثابتة ولو فى بعضها كقراءة: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (٢) بحذف الألف فهى ثابتة فى المصحف المدنى والشامى.

أما التواتر فهو نقل جماعة يمتنع تواطؤهم على الكذب عن جماعة كذلك، من أول السند إلى منتهاه إلى رسول الله ﷺ.

قال النويرى: «أجمع الأصوليون والفقهاء على أنه لم يتواتر شىء مما زاد على القراءات العشر، كذلك أجمع عليه القراء أيضًا إلا من لا يُعْتَدُّ بخلافه» (٣).

٨- الاستعاذة:

هى طلب العوذ، أى الامتناع بالحفظ والعصمة، وصيغتها: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم».

ويرى الجمهور أنها مستحبة، وقيل: واجبة عند إرادة القراءة؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (٤).

٩- البسملة:

هى مصدر بسمل، أى قال: «بسم الله الرحمن الرحيم»، مثل «هيلل»: إذا قال: ﴿لا إله إلا الله﴾ (٥).

(١) النساء: من الآية / ١.

(٢) آل عمران: من الآية / ١٣٣.

(٣) القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب - عبد الفتاح القاضى / ٤ وما بعدها.

(٤) النحل: ٩٨.

(٥) الروافى فى شرح الشاطبية / ٤٥.

وتجب عند بداية القراءة وعند أول كل سورة عدا سورة «براءة»، وذلك لكتابتها في المصحف، أما سورة «براءة» فلا يجوز الإتيان بها في أولها؛ وذلك لعدم كتابتها في المصحف؛ حيث إن هذه السورة تبدأ ببراءة الله ورسوله من المشركين ورفع الأمن عنهم بالسيف، وذلك لا يتناسب مع ما في البسملة من الرحمة والأمن، وخير صيغة لتلاوة سورة «براءة» هي: «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم الله أكبر براءة من الله ورسوله... إلخ».

■ الفرق بين القراءة والتلاوة:

القراءة: من قرأ يقرأ؛ أى ضم الحروف بعضها إلى بعض، وهى عامة فى قراءة القرآن وغيره. نقول: قرأ القرآن والكتاب.

والتلاوة: من تلا يتلو تلاوة؛ أى أتبع الكلام بعضه إلى بعض؛ وهى خاصة بقراءة القرآن الكريم وكتب الله المنزلة. نقول: تلوت القرآن تلاوة، وفى القرآن الكريم: ﴿وَأْتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ﴾^(١).

١٠- من يجب أن يُقرأ عليه القرآن ويُنقل عنه؟ (الشروط الواجبة فى القارئ):

يجب على قارئ القرآن الكريم أن يكون حافظاً له حفظاً جيداً، عالمًا بأحكام التجويد دراية وتطبيقاً، عارفاً بالقراءات القرآنية دراية ورواية وصحة وشذوذاً، فطناً فى علوم العربية والقرآن والدين، فإذا تحققت فى قارئ القرآن هذه الشروط قُبِلَتْ قراءته، ونُقِلَتْ عنه، وأصبح إماماً فى القراءة.

قال مكى بن أبى طالب عن أبى محمد: «يجب على قارئ القرآن أن يتخير لقراءته ونقله وضبطه أهل الديانة والصيانة والفهم فى علوم القرآن والنفاذ فى علم العربية والتجويد بحكاية ألفاظ القرآن وصحة النقل عن الأئمة المشهورين بالعلم...».

(١) الكهف: ٢٧.

وقال: «القراء يتفاضلون فى العلم بالتجويد؛ فمنهم من يعلمه رواية وقياسًا وتمييزًا فذلك الحاذق الفطن، ومنهم من يعرفه سماعًا وتقليدًا فذلك الوهن الضعيف^(١)، لا يلبث أن يشك ويدخله التحريف والتصحيف، إذ لم يَبْنِ على أصل ولا نَقَلَ عن فهم، قال: فنُقِلَ القرآن فطنة ودراية أحسن منه سماعًا ورواية^(٢)».

١١- مخارج الحروف وصفاتها:

■ أولاً: المخارج:

المخارج جمع مَخْرَج، وهو مكان خروج الحرف، وهو إما محقق يعتمد على جزء معين من الحلق أو اللسان أو الشفتين، وهذا يشمل كل مخارج الحروف عدا حروف المد، وإما مخرج مقدر لعدم تحديده بجزء محدد وهو الجوف مخرج الحروف المدية أى: الألف الساكنة ولا يكون ما قبلها إلا مفتوحًا، والواو الساكنة الممدودة المضموم ما قبلها، والياء الساكنة الممدودة المكسور ما قبلها.

ويمكن معرفة مخرج الحرف بتسكينه أو تشديده مع إدخال همزة الوصل قبله مثل الباء، نسكنها أو نشدها مع همزة الوصل، فنقول: أب، ب، والمخرج يكون مكان انقطاع الصوت وهو هنا: الشفتان.

ألقاب المخارج وحروف كل لقب:

- ١- الجوفية والهوائية: وتحت هذا اللقب (الواو والألف والياء) التى هى حروف مد، وتسمى أيضًا: الحروف المدية وحروف العلة.
- ٢- الحلقية: وتشمل حروف الحلق الستة، فمن أقصى الحلق: الهمزة والهاء، ومن أوسطه: العين والحاء، ومن أدناه: الغين والحاء.

(١) وهذا ما عليه أكثر القراء الآن الذين نسمعهم فى المناسبات المختلفة ولا حظ لهم من القرآن إلا التقليد وحفظ ما يقرءونه فقط - ساعهم الله وعفا عنا وعنهم.

(٢) الرعاية / ص ٢٢.

٣- اللسانية: وتشمل ثمانية عشر حرفاً: فمن أقصى اللسان البعيد من جهة الحلق: القاف، ومن أقصاه القريب جهة الفم: الكاف، وتسمى الحروف (اللهوية) لخروجها من اللهاة. ومن وسط اللسان مع محاذاة الحنك الأعلى: الجيم والشين والياء، ويلحق بها الضاد فهي من حافة اللسان مع الأضراس العليا، وتسمى الحروف الأربعة (الشجرية) لخروجها من شجر الفم.

ومن حافة اللسان ومنتهى طرفه تخرج اللام، ومن طرفه تحت مخرج اللام من اللثة العليا: النون، ومن طرفه بعد مخرج النون قرب ظهر اللسان: الراء، وتسمى الثلاثة (بالذَلْقِيَّة) لخروجها من ذلق اللسان أي طرفه.

ومن طرفه مع أصول الثنايا العليا: الطاء والتاء والذال، وتسمى (النَطْعِيَّة) لخروجها من نطع غار الحنك الأعلى، وهو الذي يُرى فيه آثار كالحزوز.

ومن طرفه مع القرب من الثنايا السفلى: الصاد والسين والزاي، وتسمى (الأسَلِيَّة) لخروجها من أسلة اللسان أي طرفه، وتسمى بحروف الصفير.

ومن طرفه مع أطراف الثنايا العليا: الطاء والذال والثاء، وتسمى اللثوية لخروجها من قرب اللثة.

٤- الشفوية: وتشتمل على حروف: الباء والميم والواو والفاء؛ الثلاثة الأولى تخرج من بين الشفتين، والفاء من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا.

٥- الخيشومية نسبة إلى الخيشوم: وتخرج منه: العُنة، وهي ليست حرفاً ولكنها صفة ملازمة للنون والميم.

■ ثانيًا: الصفات:

أهمية معرفة صفات الحرف:

ترجع أهمية صفات الحروف إلى أنها تميز بين الحروف المشتركة في المخرج كالتاء والطاء، وبمعرفة صفات الحرف يُفرق بينه وبين غيره، وتتكون شخصيته بين

حروف اللغة بحيث لا يشترك حرفان في نفس المخرج والصفات، وأيضًا معرفة القوى من الحروف والضعيف منها؛ لمعرفة ما يجوز فيه الإدغام وما لا يجوز.

■ تقسيم صفات الحروف:

أولاً: هناك صفات لازمة للحروف^(١)، وهي نوعان:

- ١- ما له ضد، مثل: الهمس، فهو ضد الجهر.
- ٢- ما لا ضد له، مثل: الصغير، فهو خاص بحروف معينة، ونوضح ذلك فيما يلي:

الصفات ذوات الأضداد:

(أ) الجهر والهمس:

الجهر: اهتزاز الأوتار الصوتية حين النطق بالصوت، ونعرف ذلك بأن نضع أصبعنا فوق البروز الحنجري المسمى بتفاحة آدم أثناء نطق الصوت، فإذا شعرنا باهتزاز الوترين الصوتيين كان الصوت مجهورًا، وحروف الجهر هي:

ء - ب - ج - د - ذ - ر - ز - ض - ط - ظ - ع - غ - ق - ل - م - ن^(٢) -

الألف - الواو - الياء، وتحقق قوة الصوت ووضوحه في الحروف السابقة.

الهمس: عدم اهتزاز الأوتار الصوتية حين النطق بالصوت، وبذلك يكون الصوت ضعيفًا، وحروفه عشرة يجمعها قولك: (سَكَتَ فَحَثَّهُ شَخْصًا).

(ب) الشدة والرخاوة والتوسط:

الشدة: أي القوة، واصطلاحًا: لزوم الحرف موضعه لقوة الاعتماد عليه في المخرج حتى حبس الصوت عن الجريان معه، وحروفها ثمانية يجمعها: (أَجْدُكَ قَطَّبْتَ)

(١) وهناك صفات عرضية لبعض الحروف سيأتي الحديث عنها بإذن الله تعالى.

(٢) هناك خلاف بين القدماء والمحدثين في صفة الجهر في حروف: الهمزة والطاء والقاف. راجع كتابنا: الفكر الصوتي/

١٢٨ وما بعدها.

والرخاوة: أى اللين، واصطلاحًا: ضعف لزوم الحرف موضعه لضعف الاعتماد عليه فى المخرج حتى جرى الصوت معه، وحروفها باقى حروف الهجاء عدا حروف الشدة والتوسط الآتية.

والتوسط: أى بين القوة واللين، واصطلاحًا: كون الحرف بين الصفتين، وحروفه خمسة، يجمعها قولنا: (لِنْ عُمَرُ)^(١).

(ج) الاستعلاء والاستفال:

الاستعلاء: أى الارتفاع، واصطلاحًا: ارتفاع اللسان إلى الحنك الأعلى عند النطق بالحرف فيرتفع الصوت معه، وحروفه سبعة هى: (خُصَّ ضَغَطُّ قَطْ).

الاستفال: أى الانخفاض، واصطلاحًا: انخفاض اللسان عن الحنك الأعلى عند النطق بالحرف، وحروفه باقى الحروف عدا حروف الاستعلاء.

(د) الإطباق والانفتاح:

الإطباق: أى الالتصاق، واصطلاحًا: ارتفاع ظهر اللسان نحو الحنك الأعلى بحيث يكون الحنك الأعلى كالطبق للسان عند النطق بالحرف، وحروفه أربعة: (ص ض ط ظ).

الانفتاح: أى الافتراق، واصطلاحًا: انفتاح ما بين اللسان والحنك الأعلى عند النطق بالحرف، وحروفه: عدا حروف الإطباق السابقة.

(هـ) الذلاقة والإصمات:

الذلاقة: أى الخفة، واصطلاحًا: الاعتماد عند النطق بالحرف على ذلق اللسان (طرفه) والشفة، وحروفها ستة مجموعة فى قولهم: (مر بنفل).

الإصمات: أى السكوت، واصطلاحًا: منع حروفه من أن يبنى منها وحدها كلمة رباعية الأصول أو خماسية إلا ما نص على عريته منها، مثل: (عسجد) للذهب، وحروفها: ما عدا حروف الذلاقة السابقة.

(١) «العين» من الأصوات الرخوة عند المحدثين. نفسه / ١٢٠.

الصفات التي ليس لها ضد:

١- الصفير: صوت زائد يخرج عند النطق بحروف (الزاي والسين والصاد)، وهو أقوى في الصاد لوجود الإطباق والاستعلاء، ثم الزاي لوجود صفة الجهر، وأخيراً السين لهمسها.

٢- القلقلة: أى التحريك، ومعناها: اضطراب اللسان بالحرف عند النطق به ساكناً وحروفها خمسة في قولك: (قطب جد).

٣- اللين: أى السهولة، ومعناه: خروج الحرف من مخرجه من غير مشقة على اللسان، وله حرفان: الواو والياء الساكنان المفتوح ما قبلها مثل: «مَوْعِدُكَ»، «الميمنة».

٤- الانحراف: أى الميل، يوصف به اللام، قال سيبويه: «لانحراف اللسان مع الصوت فيخرج الصوت من ناحيتي مستدق اللسان فويق ذلك»^(١).

٥- التكرير: أى إعادة الشيء، وهو ارتعاد طرف اللسان عند النطق بالراء، قال سيبويه: «ولو لم يكرر لم يجر الصوت فيه».

٦- الاستطالة: أى الامتداد، ومعناها: امتداد الصوت من أول حافة اللسان إلى آخره، وحرفها: الضاد.

٧- التنفسي: أى الانتشار، ومعناه: انتشار الهواء في الفم عند النطق بحرف الشين.

٨- الخفاء: أى الاستتار، ومعناه: خفاء صوت الحرف، وله أربعة حروف (حروف المد الثلاثة والهاء)، وسميت خفية لأنها تخفى في اللفظ إذا اندرجت بعد حرف قبلها.

٩- الغنة: هى صوت لذيد في الخيشوم ملازم للنون والميم والتنوين في حالة الإدغام بغنة والإخفاء، ومقدارها حركتان، ويسمى الحرف الموصوف بها أَعَنَّ^(٢).

(١) الكتاب ٤ / ٤٣٥.

(٢) نفسه. وكتابنا الفكر الصوتي / ١٢٠-١٢٥ والوافية في شرح الشاطبية / ٣٩١.

الصفات العرضية:

هذه الصفات ليست ملازمة للحرف بل تعرض له أحياناً، وهي إحدى عشرة صفة: (التفخيم والترقيق والإظهار والإدغام والقلب والإخفاء والمد والقصر والتحريك والسكون والسكت)^(١).

وأهم هذه الصفات: التفخيم والترقيق:

التفخيم: تعظيم الصوت في النطق حتى يمتلئ الفم بصداه، وأصواته هي أصوات الاستعلاء والإطباق والراء واللام وألف المد وواو المد في مواضع معينة^(٢).
الترقيق: حالة من الرقة والنحافة تلحق الحرف عند النطق به، فلا يمتلئ الفم بصداه^(٣).
وإلى القارئ الكريم تفصيل ذلك وبيان أهميته:

الظاهرة عند القراء:

اهتم القراء اهتماماً خاصاً بهذه الظاهرة، وأفاض فيها كل مَنْ أَلَفَ في القراءات، ومنهم أبو عمرو الداني في التيسير^(٤)، وابن الباذش في الإقناع في القراءات السبع^(٥)، وابن الجزري في النشر^(٦)، والبناء الدمياطي في الإتحاف^(٧)؛ وذلك لأن الدقة في إعطاء كل حرف حقه في النطق تكمن في معرفة أحكام التفخيم والترقيق، وتلك حقيقة علم التجويد التي لا تحصل إلا بالإتقان والتدريب ومعرفة أحكام كل حرف على حدة في حالة الأفراد، وتطبيق ذلك عليه في حالة التركيب مع غيره.

وقد سبق أنفاً أن الحروف التي تفخّم قسماً:

- حروف الاستعلاء، وحروف الإطباق أمكن منها في باب التفخيم.

(١) راجع المختصر المفيد/ ١٨ - ٣٣.

(٢) راجع النشر في القراءات ١/ ٢١٥ وما بعدها.

(٣) العميد في علم التجويد/ ١٢٣.

(٤) ص/ ٥٥ وما بعدها.

(٥) ص/ ٣٢٤ وما بعدها.

(٦) ١/ ٢١٥ وما بعدها.

(٧) ص/ ٩٣ وما بعدها.

- أَلِف المد وواو المد والراء واللام.

١- فألف المد تفخم إذا وقعت بعد حرف مفخم، فهي تابعة لما قبلها تفخيمًا وترقيقًا، فتفخم في مثل: صائم، قائم، ظالم، ضاحك، طائف، وترقق في مثل: بائع، نائل...

٢- واو المد في صوتها شيء من التفخيم حين يسبقها أحد حروف الإطباق مثل: الطور، مسطور، الصور، منظور.

٣- اللام تغلظ أو تفخم في لفظ الجلالة، إذا سبقَ بفتحة أو ضمة مثل: قَالَ الله، مَنْ الله، رسولُ الله، عبدُ الله، وكذا لفظ الجلالة المختوم بميم زائدة، مثل: اللهم. فإن كُسِرَ ما قبل لفظ الجلالة كسِرًا محضًا أو عارضًا رقت اللام نحو: لِيهِ، وبالله، قُلِ اللهم، الأصل: قُلْ، كُسِرَتْ اللام للتخلص من التقاء الساكنين. وكل لام مفتوحة (مخففة أو مشددة) متوسطة كانت أو متطرفة، سبقت بصاد أو طاء أو ظاء جاز تغليظها؛ أى: تفخيمها، مثل: «على صَلَاتِهِمْ»، «أو يُصَلِّبُوا»، «أن يوصل»، «مَطْلَعُ الفجر»، «بئر مُعْطلة»، «ظَلٌّ وَجْهه».

أما إذا كانت مضمومة أو مكسورة أو ساكنة وكانت تلك الحروف قبلها مضمومة أو مكسورة، فإن اللام ترقق في الحالين، مثل: «ظَلَمُوا»، «إِلا من ظَلِم»، «فَطَلْتُمْ»، «تَطَّلَع»، «يُصَلِّي عليكم»، «وَصَلْنَا لهم القول»، «ظِلَال»، «عُطِّلْت»، «فُصِّلْت»، كما ترقق اللام إذا كانت رأس آية، نحو: «فلا صَدَق ولا صَلَّى».

٤- الراء: يمكن القول: إن تفخيم نطق الراء في درج الكلام وعند الوقوف عليها ترتبط بالفتح أو الضم أو السكون المسبوق بفتح أو ضم على الراء التي في درج الكلام، أو على ما قبل الراء الموقوف عليها، وكذا إذا كانت ساكنة بعد همزة وصل فتفخم الراء في نحو: رَزَقْنَاكم - رَزَقْنَا - رِزْقًا - مَرَج - قُرْآن - فلا تَنْهَر - ويولون الدُّبْر - وليالٍ عشر - ارْكُض - وارزقنا - ارْجِعى - أم ارتابوا.

وإن ترقيق نطق الراء مرتبط بالكسرة أو الإمالة أو السكون المسبوق بكسر أو إمالة، على الراء التي في درج الكلام، فترقق في الأمور الآتية:
(أ) إذا كانت مفتوحة أو مضمومة وقبلها ياء ساكنة، نحو: «فيهن خَيْرَات»، «ذلك خَيْر».

(ب) إذا كانت مكسورة، نحو: «بِشْرَرٍ، رِجَالٍ، فِرْحِين».

(ج) إذا سكنت وقبلها كسرة أصلية مثل: «فَاصْطَبِرْ، اسْتَغْفِرْ لَهُمْ».

(د) إذا وقعت بعدها كسرة، مثل: «رَدِفَ لَكُمْ، كُرْسِيَهُ».

ولا شك أن تفخيم ألف المد أو واو المد والراء وتغليظ اللام - فيما سبق - يقتضى أن يتخذ اللسان مع كل منهما شكلاً مقعراً مشبهاً في ذلك حروف الإطباق، وفي حالة الترقيق يكون اللسان في وضعه العادي^(١).

والترقيق: عكس التفخيم، وهو جعل جسم الحرف نحيلًا فلا يمتلئ الفم بصداه، وأصوات الترقيق: ما عدا أصوات التفخيم السابقة.
ونلاحظ على الصفات السابقة أن بعضها صفات قوة كالجهر، وبعضها صفات ضعف كالهمس^(٢).

وتنقسم حروف العربية من حيث القوة والضعف إلى:

(أ) حروف قوية: وهي كل حرف يتصف بثلاث صفات قوة على الأقل، وهي: (ض، ب، ط، ق، ر، ظ، ج، ص، د).

(ب) حروف متوسطة: وهي كل حرف فيه صفتان قويتان وهي: (أ، ل، م، ن، غ، ز).

(ج) حروف ضعيفة: وهي كل حرف فيه صفة قوة واحدة أو ليس فيه منها شيء، وهي: (خ، ش، و، ع، ذ، ك، ي، ت، و، ا، س، ي، هـ، ف، ح، ث).

وإلى القارئ الكريم أهم الأحكام التجويدية^(٣):

(١) انظر فيما سبق: أصوات اللغة العربية، د/ محمد جبل بتصرف عن الإنحاف ونهاية القول المفيد، وقارن بكتابنا

أصوات اللغة العربية - دراسة وصفية تطبيقية/ ٨٨، ٩٨.

(٢) راجع المختصر المفيد/ ١٧، ١٨.

(٣) ويُعد ذلك تطبيقًا للأحكام النظرية عند قراءة القرآن الكريم.

أولاً: أحكام النون الساكنة والتنوين مع الحروف الأبجدية

النون الساكنة هي التي لا حركة لها في مثل: مِنْ وَعَنْ.
والتنوين: هو نون ساكنة زائدة تلحق آخر الاسم لفظاً، وتفارقه في الخط والوقف.
وعلامته: الضمتان، مثل: رَحِيمٌ، أو الفتحتان مثل: رَحِيمًا، أو الكسرتان مثل: رَحِيمٍ^(١).
وأحكام النون الساكنة والتنوين أربعة، وهي:

١- الإظهار الحلقى:

وهو في اللغة: البيان، وفي الاصطلاح: إخراج كل حرف من مخرجه من غير غنة في الحرف المظهر.
ويتحقق إظهار النون الساكنة والتنوين إذا وقع بعدهما حرف من أحرف الحلق الستة الآتية: الهمزة والهاء، العين والحاء، الغين والخاء.

ولإظهار الحلقى مراتب ثلاث:

١- أعلى عند الهمزة والهاء.

٢- أوسط عند العين والحاء.

٣- أدنى عند الغين والخاء^(٢).

ويلاحظ أن النون الساكنة تظهر مع أحد حروف الحلق الستة، سواء أكانت في كلمة أم في كلمتين، أما التنوين فيظهر في كلمتين فقط ولا يكون في كلمة واحدة، وإليك الأمثلة:

(١) مرشد المرید/ ٣.

(٢) دراسات في التجويد والأصوات/ ١٥٠.

■ أمثلة على إظهار النون الساكنة والتنوين:

حروف الإظهار	مثال التنوين لا يكون إلا من كلمتين	مثال النون الساكنة	
		من كلمتين	من كلمة
الهمزة	«رسولٌ أمينٌ»	«وَمِنْ أَهْلِ»	«وَيَنبَأُونَ عَنْهُ»
الهاء	«فريقاً هدى»	«مَنْ هَاجَرَ»	«يُنْهَى»
العين	«سمعٌ عليمٌ»	«مِنْ عَمَلٍ»	«أَنْعَمْتَ»
الحاء	«غفورٌ حلِيمٌ»	«مِنْ حَكِيمٍ»	«يَنْحَتُونَ»
الغين	«ماءٌ غدقاً»	«مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ»	«فَسَيَنْغَضُونَ»
الخاء	«يومئذٍ خاشعَةٌ»	«مِنْ خَوْفٍ»	«وَالْمُنْخَنَقَةُ»

والإظهار - فيما سبق - يسمى إظهاراً حلقياً لخروج حروفه من الحلق، قال الناظم (صاحب تحفة الأطفال) في هذا الإظهار:

للنون إن تسكن وللتنوين
فالأول الإظهار قبل أحرف
همز فهاء ثم عين حاء
أربع أحكام فخذ تبيني
للحلق سِتُّ رُبِّيْتُ فَلْتَعْرِفْ
مهملتان ثم غين خاء^(١)

هذا والسبب في إظهار النون الساكنة إظهاراً حلقياً مع أحد حروف الحلق الستة هو سبب صوتي، يرجع إلى بُعد المخرج بين النون المظهرة التي هي من طرف اللسان مع أعلى لثة الثنايا العليا، مع خروج هوائها كله وصوتها من الأنف، وبين حروف الحلق التي تخرج من الحلق^(٢).

٢- الإِدْغَام:

وهو في اللغة: إدخال الشيء في الشيء. وفي الاصطلاح: النطق بالحرف الأول كالثاني مشدداً، وفائدته تخفيف اللفظ وتيسيره والاقتصاد في الجهد العضلي، وهذا ولالإدغام أحكام كثيرة، ليس هنا تفصيلها.

(١) المختصر/١١٠.

(٢) انظر: مرشد المرید إلى علم التجويد/٣، ٤، والوافي في شرح الشاطبية/١٣٨، ١٣٩.

ويتحقق الإدغام إذا التقت النون الساكنة أو التنوين مع أحد حروف الإدغام المتحركة^(١)، وحروف الإدغام ستة، وهى:

- ١- الياء. ٢- النون. ٣- الميم.
٤- الواو. ٥- اللام. ٦- الراء.

وتجمع هذه الحروف فى كلمة «يَرْمَلُونَ».

والإدغام فى الحروف الأربعة الأولى، وهى: الياء والنون والميم والواو المجموعة فى كلمة «يَنْمُو» يكون إدغامًا بغنة. أما إدغام النون الساكنة والتنوين فى الراء واللام فيكون إدغامًا بغير غنة، وإليك الأمثلة على الترتيب:

نوع الإدغام	حرف الإدغام	مثال التنوين	مثال على النون الساكنة
بغنة	الياء	«يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ»	«إِنْ يَقُولُونَ»
بغنة	النون	«أَمْشَاحٌ نَبْتَلِيهِ»	«مَنْ نَعَمَةٌ»
بغنة	الميم	«صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا»	«مَنْ مَلَجَأً»
بغنة	الواو	«جَنَاتٍ وَعَيْونَ»	«مَنْ وَّاقٍ»
بغير غنة	اللام	«هَدَى لِّلْمُتَّقِينَ»	«لِئَن لَّمْ»
بغير غنة	الراء	«فِي عَيْشَةٍ رَّاضِيَةٍ»	«مَنْ رَبِّهِمْ»

ونلاحظ فى الأمثلة السابقة أن النون الساكنة والتنوين فى كلمتين بحيث تكون النون الساكنة أو التنوين فى آخر الكلمة الأولى وحرف الإدغام فى أول الكلمة الثانية، وهذا هو شرط الإدغام.

أما إذا كانت النون الساكنة وحرف الإدغام فى كلمة واحدة كان حكم النون الإظهار، والأمثلة على ذلك: «الدُّنْيَا، بُنْيَان، قُنُون، صِنُون».

(١) ينبغى أن نعلم أن الإدغام هنا هو الإدغام الصغير، أما الإدغام الكبير فهو ما كان الأول من الحرفين المدغمين متحركًا مثل: «لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ»، انظر: الواو/ ٥٣ وما بعدها، ودراسات فى أصوات اللغة العربية / ١٤٨.

ويسمى الإظهار حينئذ إظهارًا مطلقًا، قال الناظم في الإدغام:
والثاني إدغام بستة أتت في يرملون عندهم قد ثبتت
لكنها قسمان قسم يُدغما فيه بغنة يَنُمُو علما
إلا إذا كان بكلمة فلا تُدغم كدُنْيَا ثم صِنَوَانِ تلا^(١)

والسبب في إدغام النون الساكنة والتنوين مع أحد حروف «يرملون» - في كلمتين - يرجع إلى قرب المخرج بين النون وهذه الحروف، فالنون من طرف اللسان، وهذه الحروف تدور بين طرف اللسان ووسطه والشفقتين، يضاف إلى ذلك قرب الصفات أيضًا بين هذه الحروف، فهي تشترك في صفات «الاستفال والانفتاح والجهر»^(٢).

٣- الإقلاب:

وهو في اللغة: تحويل الشيء عن وجهه.

وعند أهل هذا الفن: قلب النون الساكنة أو التنوين ميمًا مخفأة في اللفظ لا في الخط مع بقاء الغنة.

وللإقلاب حرف واحد هو الباء.

فإذا التقت النون الساكنة أو التنوين مع حرف الباء نتج عن ذلك قلب النون الساكنة أو التنوين ميمًا مخفأة، ويتضح السبب في ذلك قريبًا.

والتقاء النون الساكنة مع الباء قد يكون في كلمة واحدة، مثل: «ينبت لكم».

وقد يكون في كلمتين؛ مثل: «من بخل».

أما التنوين مع الباء فلا يكون إلا في كلمتين، مثل: «حلُّ بهذا».

قال الناظم:

والثالث الإقلاب عند الباء ميمًا بغنة مع الإخفاء^(٣)

(١) انظر: مرشد المرید / ٤، ٥، والوافي / ١٣٨.

(٢) دراسات في أصوات اللغة العربية / ١٥١.

(٣) مرشد المرید / ٥، ٦.

والسبب فى قلب النون الساكنة ميماً مع الباء أن النطق بالنون الساكنة يتطلب استمرار مرور الهواء عن طريق الغنة التى تخرج من الأنف، والنطق بالباء يتطلب حجز الهواء بالتقاء الشفتين، وعند ذلك يتنافى الحرفان، فتأتى بحرف يتفق مع النون فى الغنة ومع الباء فى المخرج من الشفتين وهو الميم، ومن هنا نستطيع النطق بالصوتين عن طريق الإقلاب^(١).

٤- الإخفاء:

وهو فى اللغة: الستر من أخفيت الشيء إذا سترته. واصطلاحاً: النطق بالحرف بصفة بين الإظهار والإدغام، عارٍ عن التشديد مع بقاء الغنة فى الحرف المخفى (النون الساكنة أو التنوين).

ويتحقق الإخفاء إذا جاء بعد النون الساكنة أو التنوين أحد الحروف الآتية:

- | | | |
|------------|------------|------------|
| ١- الصاد. | ٢- الذال. | ٣- الثاء. |
| ٤- الكاف. | ٥- الجيم. | ٦- الشين. |
| ٧- القاف. | ٨- السين. | ٩- الدال. |
| ١٠- الطاء. | ١١- الزاى. | ١٢- الفاء. |
| ١٣- التاء. | ١٤- الضاد. | ١٥- الظاء. |

وهى خمسة عشر حرفاً جُمِعَتْ فى الحروف الأولى من كلمات هذا البيت:

صِفْ ذَا ثَنَا كَمْ جَادَ شَخْصٌ قَدْ سَمَا دُمٌ طَيِّبًا زِدْ فِي تُقَى صَعُ ظَالِمًا

كما نلاحظ أن أحرف الإخفاء تقع مع النون الساكنة فى كلمة واحدة أو فى كلمتين، أما أحرف الإخفاء مع التنوين فلا يكون ذلك إلا فى كلمتين، وإليك أمثلة إخفاء النون الساكنة والتنوين:

(١) دراسات فى أصوات اللغة / ١٣٥.

حروف الإخفاء	مثال التنوين لا يكون إلا من كلمتين	مثال النون الساكنة	
		من كلمتين	من كلمة
الصاد	«رِجَالٌ صدَّقُوا»	«مِنْ صِياصِيهِمْ»	«مَنْصُورًا»
الذال	«كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ»	«مَنْ ذَا الذِي»	«لِينذِر»
الثاء	«مَاءٌ ثَجَّاجًا»	«فَمَنْ ثَقَلَتْ»	«أُنثَى»
الكاف	«فِي يَوْمٍ كَانَ»	«مَنْ كَانَ»	«أَنْكَالًا»
الجيم	«فَصَبْرٌ جَمِيلٌ»	«مَنْ جَبَالَ»	«فَأَنْجِينَاهُ»
الشين	«عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ»	«إِنْ شَاءَ»	«مَنْشُورًا»
القاف	«عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»	«مَنْ قَبَلَ»	«فَأَنْقَذَكُمْ»
السين	«قَوْلًا سَدِيدًا»	«عَنْ سِوَاءِ»	«مِنْسَأْتَهُ»
الذال	«قِنُونٌَ دَانِيَةٌ»	«وَمَنْ دَخَلَهُ»	«عِنْدَ»
الطاء	«قَوْمًا طَاغِينَ»	«وَإِنْ طَائِفَتَانِ»	«يَنْطِقُونَ»
الزاي	«مُبَارَكَةٌ زَيْتُونَةٌ»	«فَإِنْ زَلَلْتُمْ»	«مُنزَلِينَ»
الفاء	«عَمِيٌّ فَهْمٌ»	«وَإِنْ فَاتَكُمْ»	«انْفَرُوا»
الثاء	«جَنَاتٍ تَجْرِي»	«مِنْ تُرَابٍ»	«مُتَّهَوْنَ»
الضاد	«قَوْمًا ضَالِينَ»	«مَنْ ضَلَّ»	«مَنْضُودٌ»
الظاء	«قُرَى ظَاهِرَةٌ»	«مَنْ ظَلَمَ»	«يَنْظُرُونَ»

هذا وللإخفاء ثلاث مراتب، وهي:

١- أعلى، عند الطاء والذال والثاء.

٢- أدنى، عند القاف والكاف.

٣- أوسط، عند باقي حروف الإخفاء.

ويتضح مما سبق أن السبب فى إخفاء النون الساكنة والتنوين مع أحد أحرف الإخفاء السابقة أن هذه الأحرف متوسطة المخارج مع النون، فهى ليست بعيدة جداً كما فى حروف الإظهار، ولا قريبة جداً كما فى حروف الإدغام.

وفى الإخفاء يقول الناظم:

من الحروف واجب للفاضل	والرابع الإخفاء عند الفاضل
فى كلم هذا البيت قد ضمنتها	فى خمسة من بعد عشر رمزها
دم طيباً زد فى تقى ضع ظالماً ^(١)	صف ذا ثنا كم جاد شخص قد سما

(١) انظر: النشر ٢٢ / ٢٧-٢٨، ومرشد المرید / ٦، ودراسات فى التجويد / ١٥١، ودراسات فى أصوات اللغة / ١٥٨.

ثانياً: أحكام الميم الساكنة

للميم الساكنة مع حروف الهجاء - عدا الألف اللينة - ثلاثة أحكام:

١- الإخفاء الشفوي:

ويتحقق إذا وقع بعد الميم الساكنة حرف واحد هو الباء، ويسمى إخفاءً شفويًا^(١).
مثاله: ﴿وَمَنْ يَنْصُمْ بِاللَّهِ﴾^(٢)، ﴿مَا لَكُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾^(٣)، والسبب في إخفاء «الميم» هنا هو اتحاد مخرجها مع الباء (من الشفتين) فأخفيت حتى يمكن النطق بها ساكنة مع الباء التي هي من مخرجها.

وفي الإخفاء الشفوي يقول الناظم:

والميم إن تسكن تجى قبل الهجاء
أحكامها ثلاثة لمن ضبط
فالأول الإخفاء عند الباء
لا ألف لينة لذى الحجا
إخفاء إدغام وإظهار فقط
وسمّه الشفوي للقراء

٢- الإدغام:

ويتحقق ذلك إذا وقع بعد الميم الساكنة ميم مثلها، ويسمى إدغام مثلين صغير بغنة.

مثاله: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَافِي الْأَرْضِ﴾^(٤)، ﴿كَلَّمَآ أَصْنَآءَ لَهُمْ مَسْرَآءَ﴾^(٥)، قال الناظم:

والثانى إدغام بمثلها أتى
وسمّ إدغامًا صغيرًا يافتى

(١) لخروج حروفه (الباء والميم) من الشفة.

(٢) آل عمران: من الآية / ١٠١.

(٣) النساء: من الآية / ١٥٧، والكهف: من الآية / ٥.

(٤) البقرة: من الآية / ٢٩.

(٥) البقرة: من الآية / ٢٠.

٣- الإظهار:

ويتحقق إذا وقع بعد الميم الساكنة أى حرف من حروف الهجاء عدا الباء والميم السابقتين، ويسمى الإظهار حينئذ إظهاراً شفويّاً^(١).

مثاله فى كلمة: ﴿وَأَمْضُوا﴾^(٢)، ﴿أَمْثَالِكُمْ﴾^(٣).

مثاله فى كلمتين: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾^(٤)، ﴿لَمْ يَنْصُوكُمْ﴾^(٥)، ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾^(٦).

قال الناظم:

والثالث الإظهار فى البقية من أحرف وسمّها شفوية^(٧)

(١) أنواع الإظهار ثلاثة: الإظهار الحلقى؛ لأنه خاص بحروف الحلق، والإظهار الشفوى لخروج حروفه من الشفة،

والإظهار المطلق الذى ليس بحلقى ولا شفوى، كما فى: بُنيان، وقنوان.

(٢) الحجر: من الآية / ٦٥.

(٣) الأنعام: من الآية / ٣٨، والأعراف: من الآية / ١٩٤، ومحمد: من الآية / ٣٨، والواقعة: من الآية / ٦١.

(٤) الحاقة: من الآية / ١٢.

(٥) التوبة: من الآية / ٤.

(٦) النحل: من الآية / ١١٣، والعنكبوت: من الآية / ١٤.

(٧) النشر / ١ / ٢٢٢، ودراسات فى التجويد / ١٥١، ١٥٢، ومرشد المرشد / ٨، ٩.

ثالثاً: المد والقصر

المد لغة: الزيادة، واصطلاحاً: إطالة زمن الصوت بحرف المد عن المد الطبيعي، وهو الذي لا يقوم الحرف ذاته دونه، وحروف المد ثلاثة:

١- الألف، ولا يكون ما قبلها إلا مفتوحاً.

٢- الياء الساكنة المكسور ما قبلها.

٣- الواو الساكنة المضموم ما قبلها.

والقصر لغة: الحبس، واصطلاحاً: إثبات حرف المد من غير زيادة عليه^(١).

سبب المد:

للمد سببان: إما لفظي، وهو المد للهمز أو السكون، وسيأتي الحديث عنه قريباً. وإما معنوي، حيث يقصد به المبالغة في النفي، وهو سبب قوى مقصور على العرب وإن كان أضعف من السبب اللفظي عند القراء، ومنه مد التعظيم في نحو: «لا إله إلا الله، لا إله إلا هو، لا إله إلا أنت». ويقال له أيضاً: مد المبالغة^(٢).

أقسام المد:

ينقسم المد إلى قسمين:

(١) أصلي. (ب) فرعي.

(١) المد الأصلي:

هو الذي لا يتوقف على سبب من همز أو سكون مثل: «مالك الملك»، «الذين»، «يقول»، فالألف والياء والواو في الأمثلة السابقة تمد في النطق بمقدار حركتين:

(١) انظر: النشر ١/٣١٣، ومرشد المرشد/ ١٢.

(٢) انظر: النشر ١/٣٤٤.

الحركة فى القراءة - كما حددها العلماء فى العصر الحديث - الفترة الزمنية اللازمة لنطق الحرف المتحرك مفتوحة أو مضمومة أو مكسورة: مثل ق، ق، ق، أما قول بعض القدماء: «الحركة مقدار زمن قبض الأصبع أو بسطه»^(١) فقول ضعيف، ويضعف بأن هذا المقدار يختلف من شخص لآخر، بل إنه يختلف فى الشخص الواحد من حالة لأخرى. ويسمى هذا المدُّ طبيعياً، وحروفه: الألف والياء والواو السابقة.

قال الناظم:

وَسَمَّ أَوْلاً طَبِيعِيًّا وَهُوَ	وَالْمَدُّ أَصْلَى وَفِرْعَى لَهُ
وَلَا بَدْوَنَهُ الْحُرُوفُ تُجْتَلِبُ	مَا لَا تَتَوَقَّفُ لَهُ عَلَى سَبَبٍ
جَا بَعْدَ مَدِّ فَالطَّبِيعِيُّ يَكُونُ	بَلْ أَى حَرْفٍ غَيْرِ هَمَزٍ أَوْ سَكُونٍ
مِنْ لَفْظٍ وَآيٍ وَهِيَ فِى نُوحِيهَا	حُرُوفُهُ ثَلَاثَةٌ فَعِيهَا
شَرْطٌ وَفَتْحٌ قَبْلَ أَلْفٍ يَلْتَزِمُ	وَالكَسْرُ قَبْلَ الْيَا وَقَبْلَ الْوَاوِ ضَمُّ

(ب) المد الفرعى:

وهو الذى يتوقف مده على سبب من همزة أو سكون، وله ستة أقسام:

١- المد المنفصل: وهو أن يكون حرف المد فى كلمة والهمز بعده فى الكلمة الأخرى نحو: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾^(٢)، ﴿وَفِى أَنْفُسِكُمْ﴾^(٣)، ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ﴾^(٤).

وهذا المد قد يسمى بالمد الجائز لجواز قصره ومدّه، ويجوز مده مقدار حركتين أو أربع أو خمس.

٢- المد المتصل: وهو أن يكون حرف المد والهمز فى كلمة واحدة نحو: «السَاء»، «تفىء»، «تبوء».

(١) انظر: المختصر فى أصوات اللغة العربية: د/ جيل/ ١٦٥، وقد قدر المحدثون طول الحركات بالأجهزة الحديثة فقدروا طول الحركة القصيرة بنحو ١.٦٪ من الثانية، والمد الطبيعى بنحو ٣.٢٪ من الثانية... إلخ.

(٢) الكوثر: ١.

(٣) الذاريات: من الآية/ ٢١.

(٤) التحريم: من الآية/ ٦.

وهذا المد يسمى بالمد الواجب لوجوب مده وعدم جواز قصره، ويمد بمقدار أربع حركات أو خمس أو ست.

قال الناظم:

والآخر الفرعي موقوفٌ على سبب كهمز أو سكون مسجلاً
وجائز مد وقصر إن فصل كل بكلمة وهذا المنفصل
فواجب إن جاء همز بعد مدّ في كلمة وذا بمتصل يُعدّ

وسبب المد لأجل الهمز أن حرف المد خفي والهمز صعب، فزيد في الخفي ليتمكن من النطق بالصعب^(١).

٣- المد اللازم: هو أن يقع بعد حرف المد سكون ثابت وصلًا ووقفًا.

■ أقسامه:

(أ) مد لازم كلمي مثقل: وذلك إذا كان المد في كلمة مدغمًا مثل:

«كافة»، «الحاقة».

(ب) مد لازم كلمي مخفف: وذلك إذا كان المد في كلمة وليس مدغمًا

مثل: «الثن».

(ج) مد لازم حرفي مثقل: وذلك إذا كان المد في حرف وكان مدغمًا مثل:

«آلم»، «طسم».

(د) مد لازم حرفي مخفف: وذلك إذا كان المد في حرف وليس مدغمًا،

مثل: «ق»، «ص».

والمد اللازم في الأنواع الأربعة السابقة يجب مده بمقدار ست حركات.

قال الناظم:

ولازم إن السكون أصلًا وصلًا ووقفًا بعد مدّ طوّلًا
كلاهما مثقلٌ إن أدغما مخفف كل إذا لم يدغما

(١) النشر ١/٣١٣، ٣١٤، ودراسات في التجويد/١٣٦.

٤- مد البدل: وهو ما تقدم فيه الهمز على حرف المد، وذلك لإبدال حرف المد من الهمز مثل: «آمنوا، إيماناً، أوتوا».

وحكمه: القصر بأن يمد حركتين، قال الناظم:

أو قدم الهمز على المدّ وذا بدل كآمنوا وإيماناً خذا

٥- مد اللين: وهو مد الياء والواو الساكتين المفتوح ما قبلهما مثل: بَيْتٌ، وَخَوْفٌ، وسمى لِيناً لأن النطق به فيه لين وسهولة.

وحكمه: عدم المد مطلقاً حالة الوصل، أما فى الوقف فسيأتى حكمه قريباً.

قال الناظم:

واللين منها اليا وواؤ سَكَّنَا إن انفتاحُ قبل كُلِّ أعلنا^(١)

٦- المد العارض للسكون: ويكون حينما يقع بعد حرف المد أو اللين سكون عارض حالة الوقف.

(ب)		(أ)	
حرف المد	أمثلة المد العارض للسكون المهموز	حرف المد	أمثلة المد العارض للسكون غير المهموز
الألف	والسماء	الواو	يؤمنون
الألف	من الماء	الألف	من الرحمن
الألف	يشاء	الياء	نستعين
		الواو	خوف

التوضيح:

من الأمثلة السابقة يتبين لنا أنه إذا وقع بعد حرف المد أو حرف اللين سكون عارض حالة الوقف، سمي المد عارضاً للسكون، وذلك لعروض السكون حالة الوقف.

(١) مرشد المريد/ ١٥، والواقف/ ٧٢.

فإن كان غير مهموز كما في أمثلة المجموعة (أ) فيما أن يكون منصوبًا أو مجرورًا أو مرفوعًا.

فإن كان منصوبًا مثل «يؤمنون» ففيه ثلاثة أوجه، وهي: مده حركتين أو أربعًا أو ستًا بالسكون، أي الخالي من الروم^(١) والإشمام^(٢).

وإن كان مجرورًا مثل: «من الرحمن»، ففيه أربعة أوجه، وهي الثلاثة المذكورة في المنصوب، ويزاد «الروم» على القصر.

وإن كان مرفوعًا مثل «نستعين» ففيه سبعة أوجه هي: الأربعة المذكورة في المجرور، ويزاد الإشمام على كل من القصر والتوسط والمد.

أما العارض للسكون إذا كان حرف لين مثل: بَيْت، خَوْف، فإن الروم يكون على عدم المد مطلقًا؛ لأن الروم مثل حالة الوصل، وقد علمت أنه في حالة الوصل لا يمدُّ أصلًا، وعلى ذلك فهذا النوع لا يمد مطلقًا.

وإن كان مهموزًا كما في أمثلة المجموعة (ب)، فيما أن يكون منصوبًا أو مجرورًا أو مرفوعًا، فإن كان منصوبًا مثل «السماء» ففيه ثلاثة أوجه، وهي مده أربعًا أو خمسًا أو ستًا بالسكون المحض.

وإن كان مجرورًا مثل: «من الماء» ففيه ستة أوجه، وهي: الثلاثة التي في المنصوب ومثلها مع الروم.

وإن كان مرفوعًا مثل «يشاء» ففيه تسعة أوجه، وهي الثلاثة التي في المنصوب ومثلها مع كل من الروم والإشمام^(٣).

(١) الرُّوم: الإتيان ببعض الحركة يسميها القريب دون البعيد، ويكون في المجرور والمرفوع.

(٢) الإشمام: الإشارة بالشفثين إلى جهة الضم بعد تسكين الحرف بحيث يدركه المبصر، ويكون في المرفوع فقط. الإلتقان في علوم القرآن ١/١١٧.

(٣) مرشد المرید/١٥، ١٦، والنشر/١-٣٣٥-٣٣٨، والإلتقان/١-١٢٧.

رابعاً: الفتح والإمالة

من ظواهر التناسب الصوتى والأداء القرآنى من أجل الخفة على اللسان والسهولة فى النطق: الفتح والإمالة.

ولا يمكننا الحديث عن الإمالة دون معرفة معنى الفتح وأقسامه.

معناهما:

الفتح: هو فتح القارئ لفيه بلفظ الحرف، وهو فيما بعده ألف أظهر، ويقال له أيضاً: التخميم، وربما قيل له: النصب، وينقسم إلى فتح شديد ومتوسط، فالشديد هو نهاية فتح الشخص فمه بذلك الحرف، ولا يجوز فى القرآن بل هو معدوم فى لغة العرب. والمتوسط: هو ما بين: الفتح الشديد والإمالة المتوسطة، وهو الذى يستعمله أصحاب الفتح من القراء، وقد يقال له: الترقيق.

والإمالة: أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء (كثيراً)، وهو المحض، ويقال له: الاضطجاع والبطح، وربما قيل له الكسر، و(قليلاً) وهو ما بين اللفظين، ويقال له أيضاً: التقليل والتلطيف وبين بين.

وهى قسمان: شديدة ومتوسطة، وكلتاها جائزة فى القراءة، جارية فى لغة العرب، فالشديدة حقها أن تُقَرَّبَ الفتحة من الكسرة والألف الساكنة من الياء من غير قلب خالص ولا إشباع مبالغ فيه، والمتوسطة حقها أن يوثى بالحرف بين الفتح المتوسط وبين الإمالة الشديدة.

ويمتنع فى الإمالة المحض: القلب الخالص، والإشباع المبالغ فيه^(١).
والفتح والإمالة لهجتان مشهورتان مستعملتان فاشيتان على ألسنة الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم.

فالفتح لغة أهل الحجاز، والإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس.

(١) انظر: النشر ٢/ ٢٩، ٣٠، والإتحاف / ٧٤.

أيهما الأصل، الفتح أم الإمالة؟

اختلف العلماء في ذلك اختلافاً بيناً، وأكثرهم على أن الفتح هو الأصل، والإمالة فرع داخل عليه، وذلك لأسباب منها:

١- أن كل حرف يمال فجائز أن يفتح ابتداءً، ولا يجوز أن يمال إلا عند وجود سبب يدعو إلى إمالته، كالياء والكسرة ونحوهما.

٢- أن الإمالة تجعل الحرف بين حرفين، وليس الأصل أن يكون الحرف بين حرفين، إنما الأصل أن يخرج كل حرف من موضعه خالصاً غير مختلط بغيره.

٣- أن الصحابة - رضوان الله عليهم - رسموا المصاحف كلها: ﴿الصَّلَاةَ﴾ و﴿الزُّكُوَّةَ﴾ و﴿الْحَيَوَةَ﴾ و﴿النَّجْوَةَ﴾ و﴿كَيْشَكُوَّةَ﴾ و﴿وَمَنْوَةَ الثَّلَاثَةَ﴾ بالواو، وأجاب عن ذلك النحويون بأن قالوا: رسموها كذلك على لغة أهل الحجاز لشدة تفخيمهم فتوهموا الشدة المفخمة أنها واو ورسموها على ذلك، ودل هذا كله على أن الأصل هو الفتح.

أما ابن جنى فيعلل كتابة (الصلاة) ونحوها بأن الألف مالت نحو الواو، وبذلك يضيف أنواعاً أخرى للإمالة غير إمالة الفتحة نحو الكسرة، والألف نحو الياء، حيث يقول: «وأما ألف التفخيم فهي التي تجدها بين الألف وبين الواو نحو قولهم: سُلام عليك، وقَام زيد، وعلى هذا كتبوا: الصلوة والزكوة والحيوة بالواو؛ لأن الألف مالت نحو الواو، كما كتبوا: إحدِيهما وسَوِيهن بالياء لمكان إمالة الفتحة قبل الألف إلى الكسرة... وأما الفتحة الممالة نحو الضمة فالتى تكون قبل ألف التفخيم، وذلك نحو: الصلاة... وأما الكسرة المشوبة بالضممة فنحو: قِيلَ وَيُبِعُ وَغِيضُ وَسِيْقُ... وأما الضمة المشوبة بالكسرة فنحو قولك في الإمالة: مررت بَمَدْعُورٍ، وهذا ابن بُورٍ، نحوت بضممة العين والياء نحو كسرة الرء فأشممتها شيئاً من الكسرة، وكما أن هذه الحركة قبل هذه الواو ليست ضمة محضة ولا كسرة مرسله، فكذلك الواو أيضاً بعدها مشوبة بروائح الياء»^(١).

(١) سر الصناعة / ١ - ٥٠ - ٥٣.

وذهب جماعة إلى أصالة كل منهما وعدم تقدمه على الآخر، وكذلك التفخيم والترقيق، وكما أنه لا يكون إمالة إلا بسبب فكذلك لا يكون فتح ولا تفخيم إلا بسبب. قالوا: ووجود السبب لا يقتضى الفرعية ولا الأصالة^(١).

أقول: ويمكن التوفيق بين الرأيين بأن الفتح هو الأصل باعتبار التغليب، أى أن الفتح أكثر فى الاستعمال وأهله أكثر فصاحة، وعلى القول بأنهما أصلان، أى أن الفتح أصل عند أهله، والإمالة أصل عند أهلها لا يتكلمون بغيره.

الإمالة من الأحرف السبعة:

عن حذيفة بن اليمان أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «اقرأوا القرآن بألحان العرب»، وقال على بن معبد ونعيم: «بِلُحُونِ الْعَرَبِ وَأَصْوَاتِهَا، وَإِيَاكُمْ وَلِحُونِ أَهْلِ الْفُسُقِ وَأَهْلِ الْكُتَابِينَ». قال أبو عمرو والدانى: «فالإمالة لا شك من الأحرف السبعة، ومن لحنون العرب وأصواتها؛ لأن لحنونها وأصواتها مذاهبها وطباعها، فقد ثبت بها الخبر، وصحت بها القراءة عن رسول الله ﷺ، كما ثبت الخبر بالفتح، وصحت القراءة به عنه ﷺ»^(٢).

أسباب الإمالة:

قال العلماء: هى عشرة أو أكثر، ترجع إلى شيئين: الكسرة والياء:

١- كسرة متقدمة، ولا بد أن يحصل بين الكسرة المتقدمة والألف فاصل، وأقله حرف واحد مفتوح نحو كتاب، وحساب، أما الفتحة الممالاة فلا فاصل بينها وبين الكسرة، نحو: «إماماً».

٢- ياء متقدمة، نحو: الحياة، شيبان.

٣- كسرة متأخرة، نحو: عابد، من الناس، فى النار.

٤- ياء متأخرة، نحو: مباح.

(١) النشر ٣٢ / ٢، والحجة لابن خالويه / ٦٦.

(٢) انظر: الإلتقان ١ / ١٢٠.

- ٥- كسرة مقدرة في المحل الممال، نحو: خاف، أصله: (خَوْف).
- ٦- ياء مقدرة في المحل الممال، نحو: يخشى، أتى.
- ٧- كسرة تعرض في بعض أحوال الكلمة (طاب - جاء - زاد)؛ لأن الفاء تكسر من ذلك إذا اتصل بها الضمير المرفوع من المتكلم والمخاطب ونون جماعة الإناث.
- ٨- إمالة لأجل الإمالة نحو: (رأيت عمادًا) فأمالوا الألف المبدلة من التنوين لأجل إمالة الألف الأولى الممالة لأجل الكسرة.
- ٩- إمالة لأجل الشبه نحو: (الحسنى)، قالوا إنهم أمالوا ألفها لشبهها بألف (الهدى).
- ١٠- إمالة لأجل كثرة الاستعمال مثل: الحجاج، والناس، وحروف الهجاء في فواتح السور.

١١- رسم المصحف؛ حيث وجدوا في المصحف الياءات في مواضع الألفات فأتبعوا الخط وأمالوا؛ ليقربوا من الياءات.

وهذه الأسباب السابقة تشتمل على نوعي التأثير بين الأصوات في الكلمة: الرجعي والتقدمي، فالإمالة للكسرة والياء المتقدمتين تأثر تقدمي، إذ يتأثر الصوت الثاني بالأول، والإمالة للكسرة والياء المتأخرتين تأثر رجعي، إذ يتأثر الأول بالثاني^(١).

الإمالة في اللهجات العربية:

تكاد تجمع كتب النحو والتفسير والقراءات وسائر كتب التراث على أن الفتح لغة بعض أهل الحجاز، والإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس، وبعض روايات تنسب الإمالة أيضًا لأكثر اليمن وسعد بن بكر.

ويروى حديث عن صفوان بن عسال أنه سمع رسول الله ﷺ يقرأ: (يا يحيى)، فقيل له: يا رسول الله: تميل وليس هي لغة قريش؟ فقال: «هي لغة الأخوال بنى سعد»^(٢).

(١) اللهجات العربية في القراءات القرآنية/ ١٣٧، ١٣٦، النشر ٢/ ٣٢-٣٥، والإتقان ١/ ١٢٠.

(٢) الإتقان ١/ ١٢٠.

وقد قيل: إن هذا الحديث موضوع^(١)، وعلى الرغم من ذلك فإن سعد بن بكر تميل. كما نسبت الإمالة إلى هوازن وبكر بن وائل وقضاعة وبعض الحجازيين، والإمالة أيضاً لم تكن مقصورة على تلك القبائل التي أشار إليها الأقدمون في كتبهم، وإنما كانت ظاهرة أكثر شيوعاً مما ذكره، فقد كانت تنتظم معظم القبائل العربية وإن تفاوتت قلة وكثرة^(٢).

وإذا أردنا تحديد مواطن القبائل المميلة يمكننا أن نقول: إن الإمالة تنسب إلى القبائل البادية في وسط الجزيرة وشرقيها، والفتح إلى غربيها، ويبدو أن ذلك راجع إلى أن أهل البادية يميلون في كلامهم إلى الاقتصاد في المجهود العضلي، والإمالة تحقق لهم ذلك بما فيها من انسجام بين الأصوات.

ولنأخذ مثلاً من الواقع اللغوي - على ضوء ما سبق - ليوضح لنا اللهجات في حركة فاء الثلاثي الأجوف الماضي إذا بنى للمجهول مثل: قال وباع، وهي كالاتي:

١- الكسر: قيل وبيع في لغة قريش ومن جاورهم من بنى كنانة.

٢- الضم: قول وبوع، وهي لغة هذيل.

٣- إمالة الكسر نحو الضم، فتميل الياء الساكنة نحو الواو، وهي لهجة كثير من قيس وعقيل ومن جاورهم وعامة بنى أسد، وهي قراءة هشام والكسائي ورويس: «قيل وغيض»^(٣).

فإخلاص الكسر عند قريش ومن جاورهم من بنى كنانة يناسب ما يذهبون إليه من الفتح، ويمكن نسبة هذه اللهجات إلى بيئة الحجاز، وإن اختلفت هذيل مع بيئتها في هذه اللهجة، والقبائل التي تذهب إلى إمالة الكسرة نحو الضمة هي نفسها القبائل التي

(١) انظر: الإمالة في القراءات واللهجات، د/ عبد الفتاح شلبي / ١٣٣، ١١٤.

(٢) نفسه / ١١٧ وما بعدها.

(٣) انظر: الإنحاف / ٢٥٦، وحاشية الصبان / ٢، ٦٢، ٦٣.

اشتهرت بالإمالة، وهي قبائل وسط شبه الجزيرة وشرقيها، وإن ذكرت هنا قبيلة عقيل دون أن تذكر في القبائل المميلة، فهي قبائل المنطقة الشرقية^(١).

الإمالة في القراءات،

مما سبق يمكننا أن ننسب الفتح لقراء البيئة الحجازية مثل ابن كثير المكي، ونافع وأبي جعفر المدنيين، وأن ننسب الإمالة لقراء الكوفة حيث تأثروا بتلك القبائل التي أقامت بالعراق أو تعودت النزوح إليه، وهي قبائل قريبة مساكنها من العراق، وعرفت لهجاتها بالإمالة التي كانت الصفة الشائعة بين قبائل وسط الجزيرة وشرقيها، وشاعت بعد الإسلام في اللهجات العربية ببلاد العراق، ويؤيد ذلك أن الكسائي سُئل مرة: «إنك تميل ما قبل هاء التأنيث، فقال: هذا طباع العربية»، وقد عقب على قول الكسائي أبو عمرو الداني في كتابه «التيسير» فقال: «إن الكسائي أراد بذلك أن الإمالة لغة أهل الكوفة وهي باقية فيهم إلى الآن، وهم بقية أبناء العرب»؛ أي أن الإمالة ظلت شائعة بين أهل الكوفة حتى عهد أبي عمرو الداني في أوائل القرن الخامس الهجري^(٢).

■ والإمالة عند القراء نذكر أهم مواضعها فيما يأتي:

- ١- أمال حمزة والكسائي وخلف كل ألف منقلبة عن ياء حيث وقعت في القرآن، سواء كانت في اسم أو فعل، نحو: (الهدى - مأواه - مئواه - أزكى - الأعلى - موسى - عيسى)، و(أتى، سعى، يرضى، اجتبى، استعلى)، ووافقهم أبو عمرو من جميع ما تقدم على ما كان فيه راء بعدها ألف مماله بأى وزن كان، نحو: (ذكرى، بشرى، النصرى، اشترى، وأرى).
- ٢- أمال أبو عمرو والكسائي في رواية كل ألف بعدها راء منطرفة مجرورة، سواء أكانت الألف أصلية أم زائدة، نحو: (الدار، النار، القهار، الغفار، الكفار).
- ٣- أمال حمزة الألف التي هي عين من الفعل الثلاثي الماضي، نحو: (زاد، شاء، ران، خاف)، ووافقه الكسائي في: (ران).

(١) انظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية/ ١٤١، ١٤٢.

(٢) في اللهجات العربية/ ٦٠ - ٦٣.

- ٤- إمالة أحرف الهجاء في أوائل السور، أمال الراء من (ألر) أبو عمرو وحمزة والكسائي، والياء من (يس) ابن عامر وحمزة والكسائي، والهاء من (كهيعص) أبو عمرو والكسائي، والهاء من (طه) أبو عمرو وحمزة.
- ٥- اختلفوا في الإمالة والفتح من قوله: ﴿جُرِّ هَاكِ﴾^(١)، فقرأ ابن كثير وعاصم - في رواية - وحمزة بفتح الهاء، وأمالها نافع وأبو عمرو وعاصم في رواية، والكسائي.
- ٦- اختلفوا في فتح الراء وإمالتها من قوله: ﴿وَلَا أَدْرِيكُمْ بِهِ﴾^(٢) فقرأ ابن كثير وعاصم - في رواية - ونافع بالفتح، وقرأ أبو عمرو والكسائي وعاصم - في رواية - وحمزة والكسائي بالإمالة.
- ٧- واختلفوا في قوله: (الهدى) وما أشبهه من نحو: (العمى والهوى واستوى وأعطى)؛ فالكسائي يميل ذلك كله، وأبو عمرو في رءوس الآي، وعاصم يفتح إلا (رأى ورمى وراه) فيميل، وحمزة يميل ذوات الياء، وابن كثير وابن عامر يفتحان.
- ٨- اختلفوا في قراءة: (قيل، وغيض، وحيل، وسيئت، وسيء، وحيء، وسيق)؛ فقرأ الكسائي بإمالة الكسرة نحو الضمة ووافق نافع في (سيء وسيئت)، وقرأ الباقر بإخلاص الكسر، وقرأ عيسى (سوء) بإخلاص الضم^(٣).
- ٩- ونستنتج من ذلك:
- (أ) أن القراء الذين اشتهروا بالإمالة وأكثرها منها: حمزة، والكسائي، وأبو عمرو، وخلف العاشر.
- (ب) أن القراء الذين رويت عنهم الإمالة بقلّة: نافع وعاصم.
- (ج) أن القراء الذين اشتهروا بالفتح: ابن كثير ونافع وأبو جعفر.

(١) التوبة: من الآية/ ١٠٩.

(٢) يونس: من الآية/ ١٦.

(٣) انظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية/ ١٣٧-١٣٩، والإتحاف/ ٢٧٦، والنشر ٢/ ٣٥-٥٣.

(د) أن الفتح كان شائعاً في البيئة الحجازية والإمالة عند أهل الكوفة والبصرة،
أى في البيئة العراقية.

(هـ) حروف الإمالة ثلاثة: الألف والراء والهاء، وإنما سميت حروف إمالة
لأن الإمالة في كلام العرب لا تكون إلا فيها، لكن الألف والهاء لا تتمكن
إمالتها إلا بإمالة الحرف الذى قبلهما، والهاء لا تمال إلا فى الوقف،
والراء والألف يمالان فى الوقف والوصل^(١).

* * *

(١) الرعاية/٤٤.

خامساً: الوقف

معناه وأهميته:

الوقف لغة: الحبس، واصطلاحاً: قطع الصوت عن القراءة زمناً يسيراً يتنفس فيه القارئ عادة مع نية استئناف القراءة.

ومعرفة أحكام الوقف والابتداء من الأمور المهمة التي ينبغى للقارئ أن يحيط بها علماً؛ حتى يتدبر القرآن ويتفهم أحكامه.

دليله:

الأصل فيه ما أخرجه النحاس قال: حدثنا محمد بن جعفر الأنباري قال: سمعت عبد الله بن عمر يقول: «لقد عشنا بُرْهَةً من دهرنا وإن أهدنا ليوّتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد ﷺ فتتعلم حلالها وحرامها وما ينبغى أن يوقف عنده كما تتعلمون أنتم القرآن اليوم، ولقد رأينا اليوم رجالاً يوّتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ما يدرى ما أمره ولا زجره وما ينبغى أن يوقف عنده منه». قال النحاس: فهذا الحديث يدل على أنهم كانوا يتعلمون الأوقاف كما يتعلمون القرآن^(١).

أقسامه (مواضعه المتعلقة بالمعنى):

تنقسم أحكام الوقف إلى أربعة أقسام:

١- التام: ما تم معناه ولم يتعلق بما بعده لا لفظاً ولا معنى، مثل قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ

هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢).

وأكثر ما يكون ذلك في نهاية القصص وخواتيم السور.

(١) الإتيان ١/ ١٠٩، ١١٠.

(٢) البقرة آية: ٥٠.

وحكمه: حسن الوقف عليه والابتداء بما بعده.

٢- الكافي: ما تم من جهة اللفظ وتعلق بها بعده من جهة المعنى، مثل قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١).

وحكمه: كسابقه.

٣- الحسن: ما تم في ذاته وتعلق بها بعده لفظاً ومعنى، مثل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾^(٢).

وحكمه: جواز الوقف عليه ثم يحسن وصله بما بعده إلا إذا كان رأس آية فإنه يحسن الوقف عليه.

٤- القبيح: ما لم يتم معناه لتعلقه بها بعده لفظاً ومعنى، مثل الوقف على «إله» من قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ﴾^(٣).

وحكمه: قبح الوقف عليه إلا للضرورة، فإذا وقف عليه للضرورة كانقطاع نفس يجب وصله^(٤).

وستنقل - فيما يلي - نصاً من كتاب «النشر في القراءات العشر»^(٥)؛ ليتذوق القارئ أسلوب كتب التراث في هذا الفن، يقول ابن الجزري:

«باب الوقف على أواخر الكلم»:

تقدم أول الكتاب^(٦) حد الوقف، وأن له حالتين: الأولى ما يوقف عليه وتقدمت^(٧)، ثم الثانية ما يوقف به، وهو المقصود هنا، فاعلم أن للوقف في كلام العرب أوجهها^(٨)

(١) البقرة: من الآية / ٦.

(٢) الفاتحة: من الآية / ٢.

(٣) المائدة: من الآية / ٧٣.

(٤) انظر: الإتيان ١/ ١٠٠-١١٥، ومرشد المريد/ ١٦، ودراسات في التجويد/ ١٣٠.

(٥) انظر النشر: ٢/ ١٢٢٠، ١٢١.

(٦) انظر: المرجع السابق / ١ / ٢٢٤.

(٧) انظر: المرجع السابق / ١ / ٢٢٤ وما بعدها.

(٨) أو هيئات.

متعددة، والمستعمل منها عند أئمة القراء تسعة، وهي: السكون، والروم، والإشمام، والإبدال، والنقل، والإدغام، والحذف، والإثبات، والإلحاق.

توضيح أوجه أو هيئات الوقف:

(فالإلحاق) لما يلحق آخر الكلم من هاءات السكت^(١).

(والإثبات) لما يثبت من الياءات المحذوفات وصلًا، وسنذكر هذين النوعين في الباب الآتي بعد^(٢).

(والحذف) لما يحذف من الياءات الثابتة وصلًا، كما سيأتي في باب الزوائد^(٣).

(والإدغام) لما يدغم من الياءات والواوات في الهمز بعد إبداله، كما تقدم في باب وقف حمزة^(٤).

(والنقل) لما تقدم في الباب المذكور من نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها وقفًا^(٥).

(والبديل) يكون في ثلاثة أنواع: أحدها الاسم المنسوب المنون يوقف عليه بالألف

بدلاً من التنوين^(٦)، الثاني الاسم المؤنث بالتاء في الوصل يوقف عليه

بالبهاء بدلاً من التاء إذا كان الاسم مفردًا^(٧)، وقد تقدم في باب هاء التانيث

في الوقف، الثالث إبدال حرف المد من الهمزة المتطرفة بعد الحركة

وبعد الألف كما تقدم في باب وقف حمزة أيضًا، وهذا الباب لم يقصد

فيه شيء من هذه الأوجه الستة، وإنما قصد فيه بيان ما يجوز الوقف عليه

بالسكون وبالروم وبالإشمام خاصة.

(١) السكت: قطع الصوت زمناً، وهو دون زمن الوقف عادة من غير تنفس. النشر ١/ ٢٤٠.

(٢) انظر: المرجع السابق ٢/ ١٦١ وما بعدها.

(٣) انظر: المرجع السابق ٢/ ١٧٩ وما بعدها.

(٤) انظر: المرجع السابق ١/ ٤٣٠ وما بعدها.

(٥) انظر: المرجع السابق ١/ ٤٣٢.

(٦) مثل رأيت زيداً بالألف في حالة الوقف.

(٧) مثل الوقف على قوله تعالى: ﴿فِي كُلِّ سُورَةٍ آيَةٌ حَقِيرَةٌ﴾ [البقرة: ٢٦١] بالبهاء بدلاً من التاء.

(فأما السكون) فهو الأصل في الوقف على الكلمة المتحركة وصلاً؛ لأن معنى الوقف الترك والقطع، من قولهم: وقفت عن كلام فلان؛ أي تركته وقطعته، ولأن الوقف أيضاً ضد الابتداء، فكما يختص الابتداء بالحركة كذلك يختص الوقف بالسكون، فهو عبارة عن تفرغ الحرف من الحركات الثلاث، وذلك لغة أكثر العرب، وهو اختيار جماعة من النحاة وكثير من القراء... إلخ.

سادساً: هاء الكناية - السكت - القطع

١- هاء الكناية:

هى هاء الضمير المكنى به عن المفرد الغائب.

فإذا وقعت بين ساكنين مثل: ﴿فِيهِ الْقُرْءَانُ﴾^(١) أو بين متحرك وساكن مثل: ﴿عَبْدِهِ الْكَتَبَ﴾^(٢)، أو العكس بين ساكن ومتحرك مثل: ﴿فِيهِ هُدًى﴾^(٣)، فلا تمد فى كل هذه المواضع من الصلة.

أما إذا وقعت بين متحركين فتوصل بواو إن كانت مضمومة، وبياء إن كانت مكسورة مثل: ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي آفُقِهِ مَرْوُوا﴾^(٤)، وذلك فى الوصل، ومعلوم أن هاء الضمير الأصل فيها أن تضم، لكن إذا وقع قبلها كسر أو ياء ساكنة كسرت، ويستثنى من ذلك: ﴿وَمَا أُنسِيئُهُ﴾^(٥)، و﴿عَلَيْهِ اللَّهُ﴾^(٦)، وعند حفص سكون الهاء فى: ﴿أَرْجَمَهُ وَأَخَاهُ﴾^(٧)، ﴿فَأَلْفَقَهُ لِنَهْمِ﴾^(٨)، وصلاً ووقفًا، وكذلك عند تسكين القاف: ﴿وَيَتَّقُوهُ﴾^(٩)، وقصر الهاء فى ﴿رِزْقَهُ لَكُمْ﴾^(١٠)، ومد حفص الهاء فى: ﴿وَيَحْمِلُدْفِيهِ مَهَانَا﴾^(١١) فى الوصل.

(١) البقرة: من الآية / ١٨٥.

(٢) الكهف: من الآية / ١.

(٣) البقرة: من الآية / ٢.

(٤) الانشقاق: ١٣.

(٥) الكهف: من الآية / ٦٣.

(٦) الفتح: من الآية / ١٠.

(٧) الأعراف: من الآية / ١١١، والشعراء: من الآية: ٣٦.

(٨) النمل: من الآية: ٢٨.

(٩) النور: من الآية / ٥٢.

(١٠) الزمر: من الآية / ٧.

(١١) الفرقان: من الآية / ٦٩.

٢- السكت:

لغة: الامتناع، واصطلاحًا: قطع الصوت زمنًا أقل من زمن الوقف دون تنفس، وليس قياسيًا، بل يقتصر فيه على ما ورد في أربعة مواضع، ويرمز له في المصحف بكتابة (س) فوق الحرف المسكوت عليه، وغالبًا ما يكتب في هامش المصحف أمام السطر الذي فيه الحرف المسكوت عليه (سكتة لطيفة)، والمواضع الأربعة هي:

الألف في (عوجًا) في سورة الكهف في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِجَابًا ۗ قِيَمًا ۗ﴾^(١).

الألف من (مرقدنا) في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا بُولُوكَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدًا ۗ﴾^(٢).

النون من (من راق) في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ۗ﴾^(٣).

اللام من (بل ران) في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ۗ﴾^(٤).

ويضاف لهذه الأربعة: الهاء من ﴿مَالِيَةً ۗ﴾^(٥) هلك ﴿إن أظهرت الهاء ولم تدغمها إدغام مثلين، وآخر الأنفال إن وصلته بأول براءة لعدم ذكر البسملة بينهما: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءًا عَالِيمٌ ۗ﴾^(٦) براءة ﴿مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ﴾.

٣- القطع:

لغة: الإبانة، واصطلاحًا: قطع القراءة والانتهاؤها منها، ولا يكون إلا على رءوس الآي، بخلاف الوقف الذي يكون وسط الآيات وعلى أواخرها، أما التحريك والسكون فهما مرتبطان بالوقف والابتداء، ولذا فهما متعلقان بالحرف الأخير من الكلمات القرآنية، فحيث وقفت سكتت، وحيث وصلت حرّكت، إلا أن يكون السكون ثابتًا^(٦).

(١) الكهف: من الآية / ١، ٢.

(٢) يس: من الآية / ٥٢.

(٣) القيامة: ٢٧.

(٤) المطففين: من الآية / ١٤.

(٥) الحاقة: من الآيتين / ٢٨، ٢٩.

(٦) انظر: المختصر المفيد / ٣٤، ٣٥.

سابعاً: الهمزات

همزة الوصل:

هى التى يتوصل بها إلى نطق الحرف الساكن، وتثبت نطقاً إذا ابتدئت بالكلمة الداخلة عليها إذا كان أولها حرفاً ساكناً، وتحذف نطقاً إذا وُصلت الكلمة بما قبلها لعدم الحاجة إليها عندئذ. وهى تأتى أول الأسماء والأفعال، وفى (ال) من الحروف؛ أما فى الأسماء فتأتى قياساً أول مصدر الخماسى والسداسى، وسماعاً فى عشر كلمات هى: «اسم واست وايم وايمن واثنان واثنان وابن وابنة وامرؤ وامرأة».

وتكون دائماً مع الاسم مكسورة ما عدا «ايم وايمن» فالفتح فيهما أرجح. أما فى الحروف فلا توجد إلا فى «ال» المعرفة قياساً، وتفتح وجوباً، وهناك من قال بحرفية «ايمن»، وسبق أن الفتح فيها أرجح مع جواز الكسر.

وتحذف همزة الوصل خطأً ولفظاً فى «ال» إذا دخل عليها لام الجر مثل: «للرؤيا- للفقراء»، وتحذف لفظاً لا خطأً مع بقية حروف الجر مثل: «بالله - تالله».

أما همزة الوصل فى الأفعال فهى قياسية، ولا تقع إلا فى الأمر والماضى - دون المضارع - فتكون فى ماضى الخماسى مثل: «اشتري»، والسداسى مثل: «استسقى»، وفى أمر الثلاثى والخماسى والسداسى مثل: «اضرب، وانتصروا، واستغفر».

وحركة البدء بها تكون مضمومة إذا كان ثالث الفعل مضمومًا ضمًّا لازماً مثل: «أستحفظوا، أجتثت، أبتلى، أدع، أنظر، أقتلوا، أخرجوا». أما مع الضم العارض لمناسبة الواو فى: «إقضوا، وإبنوا، إمضوا» فتكسر ابتداءً.

فإذا كان ثالث الفعل مفتوحاً أو مكسوراً كسرًا أصلياً ابتدأنا بها مكسورة مثل: «انقلبوا، ارتضى، انطلقتم، استغفر، اهدنا، اصبر، اكشف عنا».

والخلاصة: أن همزة الوصل في الفعل يبدأ بها مكسورة وجوباً إذا كان ثالثه مضموماً ضمّاً عارضاً، أو ثالثه مكسوراً كسراً أصلياً أو مفتوحاً. ويبدأ بها مضمومة وجوباً إذا كان ثالث الفعل مضموماً ضمّاً لازماً أو مكسوراً كسراً عارضاً.

همزة القطع:

هي الهمزة التي تثبت وصلًا وبدءًا، وهي قياسية في الأفعال الثلاثية عدا الأمر منها ومصدرى الثلاثي والرباعي.

وتفتح في ماضى الثلاثي المبني للمعلوم مثل: «أَذِنَ»، وفي ماضى الرباعي المبني للمعلوم: «ألهاكم»، وفي المضارع مثل: «أعمل»، وفي أمر الرباعي مثل: «أحسن». أما مصدر الثلاثي فأحياناً تكون مفتوحة وأحياناً تكون مكسورة مثل: «أَكَلًا - إثم».

وتكسر في مصدر الرباعي مثل: «إطعام»، ومصدر الثلاثي المسموع بالكسر مثل: «إفك - إثم».

وتضم في مضارع الثلاثي المزيد: «أُبْرئ، أُميت»، وفي مضارع الثلاثي المضعف مثل: «أُبْرئ»، وفي ماضى الثلاثي المبني للمجهول: «أُمرُوا»، وكذلك ماضى الرباعي المبني للمجهول: «أُوحي».

أما في الحروف؛ فهي همزة قطع مثل: «إن، كأن» ما عدا «ال» فهي همزة وصل، وإذا اجتمعت همزتا الوصل والقطع معاً في كلمة؛ فإما أن تتقدم همزة الوصل على القطع أو العكس. مثال تقدم همزة الوصل: «أؤتمن»، ويكون ذلك في الأفعال دائماً فإن وصلت الكلمة بما قبلها سقطت همزة الوصل، أما إذا ابتدئ بها فتثبت همزة الوصل، ولكن تقلب همزة القطع حرف مدٍّ مجانس لحركة ما قبلها مثل: «أئتنا».

أما إذا تقدمت همزة القطع التي للاستفهام على همزة الوصل - ويأتي ذلك في الأسماء والأفعال - ففي الأفعال التي وردت في القرآن الكريم تحذف همزة الوصل

وتبقى همزة الاستفهام مفتوحة، وذلك إذا كانت همزة الوصل فى فعل، مكسورة فى الابتداء، وقد اتفق القراء على ألفاظ خمسة هى: «قل أتخذتم، أطلع الغيب، أفترى على الله، أستكبرت، أستغفرت لهم». ويرى حفص ذلك فى كلمتين آخرين: «أصطفى البنات، أتخذناهم سخرىاً».

أما بقاؤهما معاً فذلك إذا كانت همزة الوصل مفتوحة لو بدئ بها وواقعة فى اسم محلى بأل فلا تحذف؛ حتى لا يلتبس الاستفهام بالخبر، وإنما نبدلها ألفاً مع المد الطويل لملاقاتها الساكن بعدها أو تسهيلها بين الهمزة والألف مع القصر أى عدم المد - والإبدال أشهر - ومن هذا المقام وردت ثلاثة ألفاظ متفق عليها هى: «الذكريّن» فى موضعين، و«ألثنّ» فى موضعين، و«آله» فى موضعين.

ويلاحظ أنك إذا وقفت لضرورة أو اختيار على (بئس) من قوله تعالى: «بئس الاسم»، فإن ابتدأت بكلمة الاسم فلك فتح همزة الوصل أو ترك الهمزة وكسر اللام. ويلاحظ أيضاً: أن الهمز فى القرآن الكريم يرد ضمن حروف الكلمة متحركاً وساكناً، ولا يكون الساكن أول الكلمة مثل: «أخذ، يؤثر، قروء»، ويسمى هذا همزاً مفرداً.

وقد تجتمع همزتان فى كلمة مثل: «ءأسلمتم»، ويسمى ذلك بالهمزتين فى كلمة، وتكون الأولى دائماً متحركة بالفتح، أما الثانية فتأتى مفتوحة، مثال ذلك: «ءأنذرتم»، ومكسورة: «أئنكم»، ومضمومة مثل: «أؤنزل»، وربما جاءت الهمزة فى آخر الكلمة وجاءت همزة أخرى فى بداية ما بعدها فيسمى هذا بالهمزتين فى كلمتين.

فإذا كانت الهمزتان فى كلمتين وكانتا متحركتين حذفت إحداهما بلا نقل عند بعضهم، نحو: ﴿أَهْوَلَاءَ إِنَّا كُرْ﴾^(١)، والباقون على التحقيق^(٢).

(١) سبأ: من الآية / ٤٠.

(٢) انظر: الإتيان ١ / ١٣٠ والمختصر المفيد ٣٩ / ٤١.

ثامنًا: أحكام اللام

اللام أنواع: لام (أل) التي للتعريف، لام الفعل، لام لفظ الجلالة، وإلى القارئ الكريم توضيح ذلك:

١- لام (أل) التي للتعريف:

وهي مختصة بالدخول على الأسماء، وعندما تقع بعد أحد حروف الهجاء يكون لها أحد حُكْمين:

(أ) الإظهار عند حروف اللام القمرية.

(ب) الإدغام عند حروف اللام الشمسية.

■ وحروف اللام القمرية: أربعة عشر حرفًا، هي:

«ء، ب، غ، ح، ج، ك، و، خ، ف، ع، ق، ياء، م، هـ».

تجمعها عبارة (إِبْغِ حَجَّكَ وَخَفْ عَقِيمَهُ)، وسميت اللام هنا «قمرية»؛ لأنه يجب إظهار اللام قبلها كما تظهر في كلمة «القمر».

أمثلة: «الأول، الباسط، الغفور، الحكيم، الجليل، الكريم، الودود، الخبير، الفصل، العليم، القاهر، اليقين، المملك، الهادي».

■ أما حروف اللام الشمسية: فهي أربعة عشر حرفًا، هي:

«ط، ث، ص، ر، ت، ض، ذ، ن، د، س، ظ، ز، ش، ل».

ويجمعها أوائل كلمات هذا البيت:

طِبُّ ثُمَّ صِلْ رَجِمًا تَفْزُ، ضِفْ ذَا نِعَمٍ دَعْ سَوْءَ ظَنِّ، زُرْ شَرِيفًا لِلْكَرَمِ

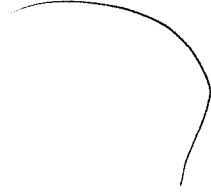
وسميت اللام هنا «شمسية»؛ لأنه يجب إدغام اللام في الحرف الذي بعدها كما تدغم لام «الشمس» في الشين بحيث تقرأ حرفًا واحدًا مشددًا هو حرف الشين، ومن أمثلتها: الشمس، الطب، الصبور...

٢- لام الفعل:

يجب إظهار لام الفعل فى أول الكلمة ووسطها، نحو: ﴿يَوْمَ اتَّخَذَ الْجَمْعَانِ﴾^(١)،
﴿وَحَلَّلْنَا فِيهَا جَنَّتِ﴾^(٢)، وعندما يقع بعد اللام الساكنة حرف الراء تدغم اللام فى الراء
بحيث يصيران حرفاً واحداً هى الراء المشددة، نحو: ﴿وَقُلِّبْنَا﴾^(٣)، تقرأ: «وقُرب».

٣- لام لفظ الجلالة:

سبق توضيح لام لفظ الجلالة من حيث التفخيم والترقيق^(٤).



(١) آل عمران: من الآية / ١٥٥.

(٢) يس: من الآية / ٣٤.

(٣) الإسراء: من الآية / ٢٤.

(٤) راجع ص ٧٩، وانظر: حق التلاوة / ٦٥-٦٧.

تاسعاً: علامات وإرشادات في المصحف

إتماماً للفائدة ينبغي على قارئ القرآن الكريم أن يلتزم بعلامات الوقف والإرشاد الموجودة فيه، إلى جانب معرفته بما سبق حتى تكون قراءته صحيحة، والعلامات الموجودة في المصحف تقتصر على أهمها هنا، وهي:

- م: علامة الوقف اللازم.
- قلى: علامة الوقف الجائز مع كون الوقف أولى.
- صلى: علامة الوقف الجائز مع كون الوصل أولى.
- ج: علامة الوقف الجائز مع جواز الوقف والوصل بدرجة متساوية.
- ح: علامة الوقف المتعاقب؛ بمعنى إذا وقفت على إحداها فلا تقف على الثانية.
- لا: علامة على ما لا يجوز الوقف عليه.
- /: وضع هذا الصفر المستدير على حرف العلة يدل على زيادة ذلك الحرف، فلا ينطق به في الوصل ولا في الوقف: ﴿وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾^(١).
- O: وضع هذا الصفر المستطيل القائم فوق ألف بعدها متحرك يدل على زيادتها وصلاً لا وقفاً، نحو: ﴿وَتَطْمَنُّنَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾^(٢) هُنَالِكَ^(٣).
- ح: للدلالة على سكون الحرف.
- م: للدلالة على وجود الإقلاب.
- °: للدلالة على إظهار التنوين.

(١) آل عمران: من الآية/ ١٨.

(٢) الأحزاب: من الآيتين/ ١٠، ١١.

~: للدلالة على الإدغام والإخفاء.

ا: للدلالة على وجوب النطق بالحروف المتحركة.

~: للدلالة على لزوم المد الزائد.

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات

وبفضله يعفو عن الزلات

وبمنه وكرمه ترفع الدرجات وتُنال الجنات

دكتور/ فتحى أنور الدابولى

أهم المراجع

* القرآن الكريم.

١. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر - الدمياطي - ط/ دار المعرفة - بيروت عن ط/ عبد الحميد حفنى بمصر.
٢. الإتيقان في علوم القرآن - السيوطي تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - ط/ الأولى - ١٩٦٧ م.
٣. الإمالة في القراءات واللهجات - د/ عبد الفتاح شليبي - ط/ دار الشرق - الثالثة - ١٩٨٣ م.
٤. التيسير في القراءات السبع - أبو عمرو الداني - ط/ دار الكتاب العربي - الثانية - بيروت - ١٩٨٤ م.
٥. حق التلاوة - حسنى شيخ عثمان - ط/ دار الهدى - عمان - الأردن.
٦. الرعاية لتجويد القراءات وتحقيق لفظ التلاوة - مكى بن أبى طالب القيسى - ط/ دار الصحابة، طنطا، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م.
٧. الطرازات المعلمة في شرح مقدمة ابن الجزرى - (ت ٨٣٣ هـ)، للشيخ زين الدين عبد الدايم (ت ٨٧٠ هـ) - تحقيق وتعليق د. مسعد عبد الحارس - طبع ونشر: الإيمان بالمنصورة - ٢٠٠٦ م.
٨. العميد في علم التجويد - محمد بن على بسة المصرى - تحقيق: محمد الصادق قمحاوى - دار العقيدة - الإسكندرية - الأولى - ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م.
٩. فصول في اللهجات العربية والقراءات القرآنية - المؤلف - ط/ الثالثة ١٤٣٥ هـ / ٢٠١٤ م.
١٠. الفكر الصوتي عند علماء العربية - قديمًا وحديثًا - المؤلف - ط/ الثالثة - ١٤٢١ هـ / ٢٠١٠ م.
١١. اللهجات العربية في القراءات القرآنية - د/ عبده الراجحي - ط/ دار المعارف - ١٩٦٩ م.

١٢. مباحث فى علوم القرآن - د/ صبحى الصالح - ط/ دار العلم للملايين - الخامسة عشرة -

١٩٨٣م.

١٣. المختصر المفيد فى علم التجويد - الشيخ محمد عبد الرحيم جاد - ط/ رابطة العالم الإسلامى - مكة المكرمة.

١٤. المقنع فى رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط - أبو عمرو الدانى - نشر مكتبة الكليات الأزهرية.

١٥. النشر فى القراءات العشر - ابن الجزرى - مطبعة / مصطفى محمد بمصر.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣	■ الإهداء
٥	■ شكر وتقدير
٧	■ تقديم
٩	■ القسم الأول: في القراءات القرآنية
١١	■ القرآن الكريم
١١	■ القراءات والمصطلحات
١٣	■ توجيه اختلاف القراءات
١٧	■ نشأة علم القراءات
٢٠	■ القراءة الصحيحة (القراءات السبع) والشاذة (ما عداها)
٢١	■ مصادر القراءات
٢٢	■ علاقة اللهجات بالقراءات
٢٣	■ حديث «أنزل القرآن على سبعة أحرف» تحليل وتوجيه
٣٧	■ رسم المصحف
٥١	■ نقط المصحف وكيفية ضبطه
٥٤	■ طباعة المصحف
٥٧	■ القسم الثاني: في فن التجويد (الأداء القرآني)
٥٨	■ مفهوم التجويد - دليله - حكمه - غايته
٦٤	■ الشروط الواجبة في القارئ
٦٥	■ مخارج الحروف وصفاتها

- أهم الأحكام التجويدية ٧٣
- النون الساكنة والتنوين ٧٣
- الميم الساكنة ٨٠
- المد والقصر ٨٢
- الفتح والإمالة ٨٧
- الوقف ٩٥
- هاء الكناية - السكت - القطع ٩٩
- الهمزات ١٠١
- أحكام اللام ١٠٤
- علامات وإرشادات في المصحف ١٠٦
- أهم المراجع ١٠٨
- فهرس الموضوعات ١١٠

للمؤلف كتب أخرى منها:

- ١- التبيان فى تفسير غريب القرآن لابن الهائم المصرى (ت ٨١٥هـ). دراسة وتحقيق. ط ١، نشر دار الصحابة للتراث بطنطا، ١٩٩٢م.
- ٢- رؤية جديدة فى المعجم العربى، ط ١، مطابع المنشاوى بطنطا، ١٩٩٢م.
- ٣- اللهجات العربية فى كتاب المصباح المنير- دراسة تحليلية مقارنة. ط التركى بطنطا، ١٩٩٣م.
- ٤- علم اللغة بين القديم والحديث، ط ٢، مطبعة الشاعر بطنطا، ٢٠٠٤م.
- ٥- فى فقه اللغة وخصائص العربية، ط الزهراء للطباعة بالزقازيق، ٢٠٠٦م.
- ٦- فصول فى علم المعاجم اللغوية. ط ٤، مؤسسة مهيب للطباعة بالزقازيق، ٢٠١٠م.
- ٧- الفكر الصوتى عند علماء العربية قديماً وحديثاً، ط ٣، مطبعة آيات بالزقازيق، ٢٠١٠م.
- ٨- فصول فى البحث اللغوي، ط ٣، مطبعة آيات بالزقازيق، ٢٠١٣م.
- ٩- فصول فى اللهجات العربية والقراءات القرآنية، ط ٣، مطبعة آيات بالزقازيق، ٢٠١٤م.
- ١٠- فصول فى علم الدلالة، ط ٢، مطبعة آيات بالزقازيق، ٢٠١٦م.

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

(مزيدة ومنقحة)

٢٠١٧/هـ١٤٣٨م

رقم الإيداع: ٤٤٣٧/٢٠١٥



جمهورية مصر العربية

٤٢ شارع جزيرة برسان - أول شبراخية - القاهرة - هاتف فاكس ٠٢٠٢٢٥٧٧٤٩٢١

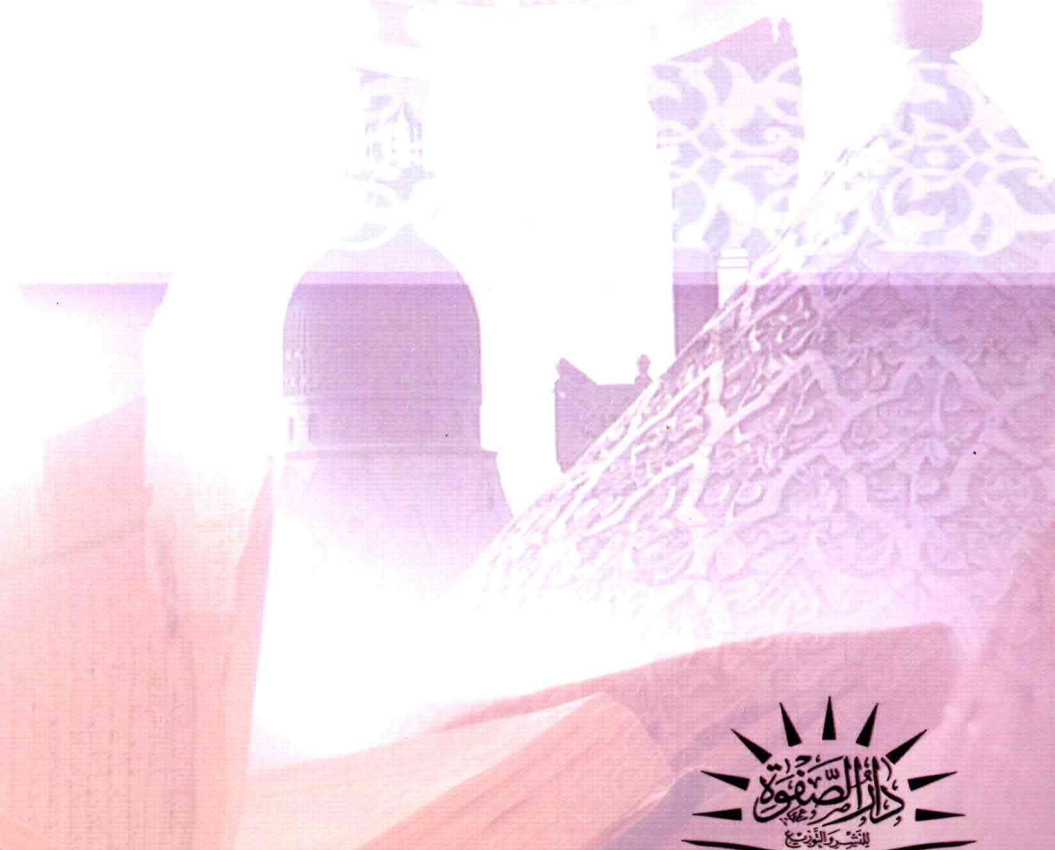
المدير العام/ ٠٢٠١٠١٩٩٩٥٥٥

الأزهر - ١٦ شارع البيطار - خلف الجامع الأزهر

محمول: ٠٢٠١٠٦١٦٤٤٤٠٦

E-mail: darelsafwah@yahoo.com :

www.dar-alsafwa.com



القسطاوي للطباعة
٠٠٢٠١٠٠١٩٩٩٥٥٥



جمهورية مصر العربية
دار السفة
٠٠٢٢٠٧٧٤٩١١
البيطار / القاهرة / مصر
٠٠٢٠١٠٠١٩٩٩٥٥٥
الزهر - ١٦ شارع البيطار - خلف الجامع الأزهر
محمول: ٠٠٢٠١٠٦١٦٤٤٤٠٦
E-mail: daralsafwah@yahoo.com :
Har-alsafwa.com